

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

تحولات الهوية الوطنية الفلسطينية منذ أوسلو

إعداد

هديل معروف محمد زهران

إشراف

د. رائد نعيرات

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التخطيط والتنمية السياسية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2020م

تحولات الهوية الوطنية الفلسطينية منذ أواسلو

إعداد

هديل معروف محمد زهران

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2020/01/23م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

.....
.....
.....

1. د. رائد نعيرات / مشرفاً ورئيساً

2. د. نظام صلاحات / ممتحناً خارجياً

3. د. نايف أبو خلف / ممتحناً داخلياً

الإهداء

والهوية؟ قلتُ

فقال: دفاعٌ عن الذات...

إنَّ الهوية بنتُ الولادة لكنها

في النهاية إبداعٌ صاحبها، لا

وإثارة ماضٍ. أنا المتعدّد... في

داخلي خارجي المتجدّد. لكنني

أنتمي لسؤال الضحية. لو لم أكن

من هناك لدرّبتُ قلبي على أن

يُربي هناك غزال التناية...

فاحمل بلادك أتي زهبت وكن

نرجسياً إذا لزم الأمر/

إلى سيدة الأرض أم البدايات أم النهايات فلسطينيه

إلى كل من عاشت على هذه الأرض وعاشت فيه

إلى كل من مات عليها ولأجلها

إلى ثوارها شهداءها وجرحاها وأسراها

إلى لاجئها ومُبعديها ومُبعديها

إلى الأرواح والأقلام والأفكار التي لا تموت

لولاكم ما بدأنا الطريق وما عرفناها وما أتملناها

إلى أبي وأمي بطلي الخارقين طوق نجاتي بر الأمان ملجأِي حية تضيق ملازِي حية تنسج

إلى أشقاء الروح دائماً وأبداً

إلى كل من أثار الدرب وأزهق في الطريق

إليكم جميعاً

الشكر والتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الدكتور الفاضل نائد نعيبات، الذي تشرفت برعايته وإشرافه حيث أولى اهتماماً كبيراً بهذه الأطروحة ولم يبخل علي بالنصح والإرشاد وكان صاحب الفضل الأول لتخرج هذه الأطروحة إلى النور.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى معالي الدكتور نايف أبوخلف الأب الروحي لنا في برنامج التخطيط والتنمية السياسية ممتحناً داخلياً، والشكر موصول للدكتور نظام صلاحات ممتحناً خارجياً لهذه الأطروحة فشكراً لهما على إحاطتي بالدعم والتوجيه.

والشكر كذلك للشكر إلى الدكتور أحمد جبر على تشجيعه وجهده ونصحه الدائم.

ولا يفوتني أن أتقدم بوافر الشكر إلى كل الذين ساهموا في إتمام الأطروحة، وأخص بالذكر كل الأسخاص ذوي الشأن في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ممن تشرفت بمقابلتهم لإغناء هذه الأطروحة.

كما أتقدم بكل الشكر والإمتنان إلى جامعتي جامعة النجاح الوطنية، وكادرها التعليمي عامة وكادر برنامج التخطيط والتنمية السياسية خاصة.

لكم مني جميعاً كل الشكر والتقدير

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

تحوّلات الهوية الوطنية الفلسطينية منذ أوصلو

أقرُّ بأنَّ ما اشتملت عليه هذه الرّسالة إنّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه، حيث إنّ هذه الرّسالة كاملةً، أو أيّ جزءٍ منها لم يقدّم من قبل لنيل أيّ درجةٍ أو لقبٍ علميٍّ أو بحثٍ لدى أيّ مؤسسةٍ تعليميّةٍ أو بحثيّةٍ أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name: هديل معروف محمد زهران

Signature: هديل زهران

Date: التاريخ: ٢٠٢٣ - ١ - ٢٠

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع	الرقم
ج	الاهداء	
هـ	الشكر والتقدير	
و	الإقرار	
ز	فهرس المحتويات	
ي	الملخص	
1	الفصل الأول: مقدمة الدراسة ومنهجيتها	
2	مقدمة الدراسة	1.1
3	مشكلة الدراسة	2.1
4	فرضية الدراسة	3.1
4	أهداف الدراسة	4.1
4	أهمية الدراسة ومبرراتها	5.1
5	منهجية الدراسة	6.1
5	حدود الدراسة	7.1
6	مصطلحات الدراسة	8.1
7	الدراسات السابقة	9.1
17	الفصل الثاني: الإطار المفاهيمي	
18	الهوية بشكل عام	1.2
19	الهوية الوطنية	2.2
20	ما هي القومية العربية	3.2
21	ماهية الهوية العربية	4.2
22	مستويات التعبير عن الهوية	5.2
23	صورة الهوية العربية	6.2
23	أنواع الهوية العربية	7.2
24	أبرز المبادئ لتحديد مقومات الهوية الوطنية	8.2
25	الهوية الوطنية العربية	9.2
26	بين القومية والهوية الوطنية	10.2

الصفحة	الموضوع	الرقم
28	سمات الهوية الوطنية في الواقع العربي	11.2
33	الفصل الثالث: الهوية الوطنية الفلسطينية، العناصر ومراحل التكوين	
35	بدايات تشكل الهوية الوطنية الفلسطينية	1.3
35	مقومات الهوية	2.3
37	مراحل تطور الهوية الوطنية الفلسطينية	3.3
39	الثورة الفلسطينية الكبرى 1936	1.3.3
40	عوامل اندلاع ثورة 1936	2.3.3
41	الإضراب العام وإعلان ثورة 1936	3.3.3
44	وقف الإضراب	4.3.3
49	النكبة الفلسطينية عام 1948	4.3
50	النكبة والتحويلات الاجتماعية	5.3
52	الأبعاد السياسية للنكبة	6.3
58	تأسيس حركة فتح 1959	7.3
62	تأسيس منظمة التحرير الوطنية الفلسطينية عام 1964	8.3
64	الهوية الوطنية لدى فلسطيني الأراضي المحتلة عام 1948	9.3
65	النكسة العربية 1967	10.3
66	أبعاد النكسة	1.10.3
67	النكسة والوعي العربي	2.10.3
68	معركة الكرامة 21-3-1968	11.3
70	تطور هوية فلسطيني الأراضي المحتلة عام 1948	12.3
73	برنامج النقاط العشرة 1974	13.3
76	الانتفاضة الفلسطينية الأولى 1987	14.3
78	إعلان الاستقلال 1988	15.3
83	الفصل الرابع: الهوية الوطنية الفلسطينية في ظل التسوية السياسية: جدلية التهميش وفرض الذات	
84	من مدريد إلى أوسلو	1.4

87	اتفاق أوسلو: متغيرات النهج وإشكاليات التطبيق	2.4
الصفحة	الموضوع	الرقم
88	السلطة الوطنية الفلسطينية: الكيانية الفلسطينية الأولى على الأرض	3.4
90	الانتفاضة الثانية: الصراع في ظل السلطة	4.4
93	آثار اتفاق أوسلو على الهوية الوطنية الفلسطينية	5.4
94	تأثيرات اتفاق أوسلو على الهوية الوطنية الفلسطينية في سياقاتها السياسية	6.4
94	إشكاليات التجزئة والوحدانية	1.6.4
100	النخب الفلسطينية بعد أوسلو	2.6.4
105	المعارضة الفلسطينية: إشكالية الدور والتأثير	3.6.4
108	تأثيرات اتفاق أوسلو على الهوية الوطنية الفلسطينية في سياقاتها الاجتماعية والاقتصادية	7.4
116	تأثيرات اتفاق أوسلو على الهوية الوطنية الفلسطينية في سياقاتها الثقافية	8.4
120	الاستنتاجات	
123	قائمة المصادر والمراجع	
b	Abstract	

تحوّلات الهوية الوطنية الفلسطينية

منذ أوسلو

إعداد

هديل معروف محمد زهران

إشراف

د. رائد نعيرات

الملخص

هدفت الدراسة إلى توضيح جوانب الهوية الوطنية الفلسطينية منذ بدايات تشكّلها، وإبراز أثر اتفاقية أوسلو عام 1993 في هذه الهوية حتى عام 2018، من خلال التحوّلات التي ترافقت مع الاتفاقية، وتتمحور مشكلة الدراسة حول سؤال رئيس، مفاده ما أثر اتفاقية أوسلو في الهوية الوطنية الفلسطينية، وكيف كانت المقاومة هي الإطار الجامع، الناظم للهوية الوطنية الفلسطينية فيما قام نهج المفاوضات بدورٍ مختلفٍ في هذا المجال، وهذا واضح في مجريات الأمور بعد اتفاقية أوسلو حيث تكرّست التفرقة الجغرافية والزمانية للشعب الفلسطيني، وأنشأت سلطة وطنية فلسطينية على أجزاء متباعدة من أرض فلسطين، ما أدى إلى إضعاف الهوية الوطنية الفلسطينية وأثر في عناصرها بشكل مباشر.

أما فرضية الدراسة، فقد انطلقت الباحثة من فرضية مفادها أن اتفاقية أوسلو أدت إلى حالة تغيّر في عناصر الهوية الوطنية الفلسطينية، خاصة مع اختزال المسارات السياسية الفلسطينية في عملية التفاوض، بعيداً عن عملية التوافق على المشروع الوطني الذي يُعتبر الأساس الجامع لكل الفلسطيني. وللتحقق من صحة الفرضية استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لفهم العلاقة بين المتغيرات والمنهج التاريخي، واعتمدت على المقابلات العلمية مع نخبة من الباحثين الأكاديميين والسياسيين كأداة للوصول إلى تصورات علمية حول هذه الدراسة.

وكان من أبرز الاستنتاجات ما يلي: تراجع الهوية الوطنية الجامعة لصالح انتماءات جهوية وعشائرية وعائلية ومناطقية وبالتالي تعزيز انتماءات بديلة عن الانتماء الوطني، أما في

المجال الاقتصادي فقد أسس أوسلو لتبعية اقتصادية كاملة للاحتلال، وخلق نخب اقتصادية جديدة تَحْرِصُ على مصالحها الذاتية.

وفشل المفاوضات بين الطرفين وعدم استقلالية القرار الوطني والذي أدى بدوره إلى تقلبات في النظام السياسي الفلسطيني، وخلق خلافات وصراعات بين القوى الفلسطينية المختلفة، تجلّت في الانقسام الفلسطيني عام 2007، مما أحدث تشوهات في الهوية الوطنية الفلسطينية، وأدى إلى تراجعها كهوية نضالية في جوهرها الأساسي.

أدخلت اتفاقية أوسلو الشعب الفلسطيني في مرحلة تفكك بناءً على توزيعه المناطقي والجهوي بعد أن كان يلتف حول مشروع وطني موحد في مختلف أماكن تواجده، وحوّل الهوية الوطنية الفلسطينية من هوية نضالية كفاحية مقاومة على الدوام إلى هوية مُفككة بناءً على التوزيع المناطقي والجهوي.

الفصل الأول

مقدمة الدراسة ومنهجيتها

الفصل الأول

مقدمة الدراسة ومنهجيتها

1.1 مقدمة الدراسة

تعد الهوية الحضارية لأية دولة بما تحويه من دين، ولغة، وعادات، وثقافة، وبقعة جغرافية ومساحة عيش مشترك أهم ما يميزها عن الدول الأخرى، وفي الوقت الذي نجد تاريخاً مشتركاً ومتداخلاً بين الهوية العربية والهوية الفلسطينية كجزء لا يتجزأ منها، إلا أن الهوية الوطنية الفلسطينية تأثرت بالعديد من المراحل التاريخية التي خضعت لها فلسطين، وقد تميزت هذه المراحل بخصائص مختلفة، حيث عانى الشعب الفلسطيني من شتات وانتفاضات متتابعة بحكم الاحتلال المستمر بدءاً من الاستعمار البريطاني إلى يومنا هذا.

فالشعب الفلسطيني أكثر الشعوب حاجةً للحفاظ على هويته الوطنية فقد احتلت أرضه وهجر شعبه، أبناؤه وساكنوه وسلبت أرضه تحت ذريعة أن فلسطين أرض بلا شعب، وبرغم من الضغوطات والصعوبات التي يواجهها الشعب الفلسطيني بفعل استمرار الاحتلال الذي يسعى لنفيه وطمس هويته الوطنية، إلا أن هذا الشعب يناضل من أجل ترسيخ هويته.

فالحفاظ على الهوية يعزز صمود الشعب الفلسطيني أثناء مقاومة المحتل والتصدي لمخططات التهويد، ويمنح الفلسطيني نَفْساً للبقاء والاستمرارية، ووفق هذه الديناميات صنع الفلسطيني تاريخه على هذه الأرض، وامتلكها عبر تعرفه على تفاصيلها وتفاعله معها، وخوضه غمار معارك الحياة للعيش والحفاظ على حياته وعلى أرضه.¹

وفي بداية مطلع الثمانينات كانت الهوية الوطنية الفلسطينية ذات بعد فكري ووطني واضح لدى جميع شرائح المجتمع الفلسطيني، وازداد وهج هذه الهوية مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية عام (1987م) وأخذت تتشكل في هذه المرحلة خصوصيات جديدة للهوية الفلسطينية،

¹ عبير داوود المراغي، تأثير الاحتلال الإسرائيلي على الهوية الوطنية الفلسطينية (التراث الشعبي أئموذجاً)، رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور مسعود الربضي، صادرة عن جامعة الشرق الأوسط - كلية الدراسات العليا - قسم العلوم السياسية - 2013م، ص 25 - 27.

ومع بداية التسعينات حدثت انعطافة في مسار الهوية الفلسطينية، وخاصة بعد وجود مفاوضات سرية وعلانية تمخضت عنها اتفاقية أوسلو، التي تم توقيعها آنذاك بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية الممثلة للشعب الفلسطيني.

ومع ظهور ملامح هذا الاتفاق، الذي جاء بعنوان غزة_ أريحا أولاً، أخرج تلقائياً من ثناياه شريحة كبيرة من الشعب الفلسطيني، الفلسطينيون في الأراضي المحتلة عام 1948 وفلسطينو الشتات فكان هذا بداية حدوث شرخ في الهوية الوطنية الفلسطينية، ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على تأثير اتفاقية أوسلو في الهوية الوطنية الفلسطينية من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة.

2.1 مشكلة الدراسة

يعاني الشعب الفلسطيني من استمرار محاولات تضييع هويته وتشتيتها وطمس معالمها، ويزداد الأمر أهمية كون الشعب الفلسطيني لازال قابلاً تحت الاحتلال الصهيوني، ولأن الهوية الوطنية هي محور الصراع الفلسطيني مع الاحتلال الصهيوني الذي حاول جاهداً التأثير عليها بما يخدم مصلحته وروايته، جاءت اتفاقية أوسلو باعتبارها عنواناً لمرحلة جديدة سيتم فيها بناء نواة الدولة الفلسطينية في ذلك الوقت و لتعزيز صمود وهوية الشعب الفلسطيني على أرضه، إلا أن نصوصها وتطبيقها على أرض الواقع جزءاً هذه الهوية، ولتوضيح هذه الإشكالية تم وضع السؤال الرئيسي ومفاده هو ما أثر اتفاقية أوسلو في الهوية الوطنية الفلسطينية ؟

وقد انبثق عن سؤال الدراسة الرئيسي الأسئلة الآتية:

1. ماذا نعني بالهوية الوطنية الفلسطينية وكيف تشكلت؟

2. ماهي أهم عناصر هذه الهوية؟

3. ماهي أهم المراحل التي أثرت في الهوية الوطنية؟

4. ماهي أهم بنود اتفاقية أوسلو وأبرز تداعياتها؟

5. ما الآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي ترتبت على توقيع هذه الاتفاقية وكيف أثرت في الهوية الوطنية الفلسطينية؟

3.1 فرضية الدراسة

اتفاقية أوسلو أدت إلى حالة تغيير في عناصر مكونات الهوية الوطنية الفلسطينية، خاصة مع اختزال المسارات السياسية الفلسطينية في عملية التفاوض، بعيداً عن عملية التوافق مع مسار المقاومة، الذي يعتبر الأساس والجامع لكل الفلسطيني في جميع المراحل ما قبل إتفاق أوسلو.

4.1 أهداف الدراسة

هدفت الدراسة إلى التعرف على تحولات الهوية الوطنية الفلسطينية منذ توقيع اتفاق أوسلو وسعت الدراسة لتحقيق الأهداف الآتية:

- 1- التعرف على نشوء الهوية الوطنية الفلسطينية وأهم مكوناتها وعناصرها.
- 2- التعرف على اتفاقية أوسلو وأهم بنودها وأبرز تداعياتها وتأثيراتها في الهوية الوطنية الفلسطينية.
- 3- دراسة النتائج والآثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي ترتبت على توقيع اتفاقية أوسلو.

5.1 أهمية الدراسة ومبرراتها

تبرز أهمية الدراسة من حيث المكانة التي تحتلها القضية الفلسطينية في العالم وفي محاولة لفهم الهوية الوطنية الفلسطينية بعد مرور (25) عاماً على اتفاقية أوسلو، وتأتي أهمية هذه الدراسة في فترة بالغة الحساسية وفي خضم الأحداث التي تشهدها القضية الفلسطينية، في ظل التغييرات الحاصلة في المنطقة، وكذلك التعرف على اتفاقية أوسلو وأثرها في الهوية الوطنية كون الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي هو صراع هوية ووجود، ولأن الحفاظ على الهوية يمثل

أهم مجالات هذا الصراع، وعبره يحاول الاحتلال أن يسرب روايته، و لم يصل المجهود الفلسطيني الرسمي إلى المستوى المطلوب واللائق بحجم التحديات والمخاطر، ما حفزَ الباحثة على دراسة هذه الاتفاقية وبيان أثرها في الهوية الوطنية الفلسطينية في مختلف المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية.

6.1 منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في محاولة للوصول إلى الإجابة عن أسئلة الدراسة ومناقشة الفرضية، وتتركز أدبيات الدراسة في بعض الكتب والمقالات المتوفرة وبعض رسائل الماجستير والأبحاث العلمية والمقابلات التلفزيونية والمواقع الإلكترونية، بالإضافة إلى المقابلات الشخصية التي تعتمد عليها الدراسة اعتماداً رئيسياً، حيث لا توجد مراجع كافية عن الموضوع تعطي إجابات محددة ومعقدة عنه، فهناك نقص في الأدبيات المتعلقة بعلاقة أوصلو بالهوية الوطنية تحديداً حيث تم اعتماد المقابلة كأداة للدراسة.

وللوصول إلى استخراج واستنباط المعلومات وتحليلها بشكل منطقي فلا بد أيضاً من استخدام المنهج التاريخي للعودة إلى قراءة الهوية الوطنية الفلسطينية قبل وأثناء وبعد اتفاقية أوصلو، كما تم لغايات الدراسة متابعة ورصد استطلاعات الرأي و خلاصة ورش العمل والمؤتمرات والمقالات وخلايا التفكير (think thank) المتعلقة بموضوع الدراسة.

7.1 حدود الدراسة

الحدود الزمنية: تختص الدراسة بموضوع الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني منذ الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936، وتبحث هذه الدراسة في اتفاقية أوصلو منذ توقيعها عام (13 ستمبر_1993م) وحتى عام (2018م).

الحدود المكانية: فلسطين التاريخية والتي تقع في الوطن العربي، ولها بعدها التاريخي والثقافي والسياسي وتعتبر القضية المركزية الأولى في المنطقة.

الحدود البشرية: القطاعات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية.

8.1 مصطلحات الدراسة

الشعب الفلسطيني: هو جزء من الأمة العربية، وهم المواطنون العرب الذين كانوا يقيمون إقامة عادية في فلسطين حتى عام 1947، سواء أخرج منها أو بقي فيها، وكل من ولد لأب عربي فلسطيني بعد هذا التاريخ داخل فلسطين أو خارجها هو فلسطيني، وهو الشعب الذي كان يعيش في فلسطين التاريخية بشكل طبيعي قبل بدء الهجرات الصهيونية الحديثة، والتي انتهت في رضوخها تحت الاحتلال الإسرائيلي حيث تشكل فلسطين الجزء الجنوبي من بلاد الشام، وبلغ التعداد العالمي للفلسطينيين في نهاية عام 2018 ما يقارب 13.05 مليون نسمة، أكثر من نصفهم بقليل يعيش كلاجئ خارج حدود فلسطين التاريخية، أما الجزء الآخر فهم يعيشون داخل حدودها، ولكن ليس في بلداتهم الأصلية بسبب عملية التهجير القسري التي تمت نتيجة حرب عام 1948، وفي أعقاب إعلان دولة إسرائيل على أرض فلسطين التاريخية وكذلك الهجرة القسرية الثانية بعد حرب عام 1967.

الهوية Identity: هي شعور الفرد والجماعة "بالذات"، وهي نتاج وعي الذات بامتلاك خصائص مميزة كوحدة تميزني عنك أنت، أو تميزنا عنهم. وبهذا المعنى فإن الهوية تحيل إلى صور التفرد والتميز (الذاتية) المستجمعة والمسقطه من طرف فاعل وتشكلت (وتعدلت عبر الزمن) من خلال علاقات مع آخرين ذوي شأن.¹

الوطنية الفلسطينية: ارتبط مفهوم الوطنية الفلسطينية بنضال الشعب الفلسطيني ضد الهجمة الاستيطانية الصهيونية، والاستعمار الكولونيالي البريطاني، ومحاولات الاحتلال الإسرائيلي المتواصلة لإنكار وجود الشعب الفلسطيني، وهي تعبير عن نزوع الشعب الفلسطيني لإبراز خصوصيته وسعيه لتحقيق هدف الاستقلال الوطني. لكن معناه في السياق الفلسطيني بحاجة للتدقيق، خصوصاً لجهة التمييز بينها وبين القومية العربية من ناحية، والمقارنة بينها وبين الوطنيات القطرية العربية من جهة أخرى. ففي الحالة الفلسطينية لم تقم دولة فلسطينية مستقلة على غرار الأقطار العربية الأخرى، بالإضافة لفقدان بعض الأسس والخصائص الاجتماعية

¹ صمويل هنتجتون: أمريكا: أنا والآخر، من نحن؟ الجدل الكبير في أمريكا، ترجمة عثمان المثلوني، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، بنغازي 2006، 43.

والثقافية المشتركة بسبب تشتت وتوزع الفلسطينيين على عدد من التجمعات داخل فلسطين المحتلة وخارجها.¹

اتفاقية أوسلو: اتفاق إعلان المبادئ حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية، التي وقعت في تاريخ 13-9-1993، بين حكومة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في البيت الأبيض بواشنطن. ونصت الاتفاقية على " ان حكومة دولة إسرائيل والفريق الفلسطيني (في الوفد الأردني الفلسطيني المشترك) ممثلا الشعب الفلسطيني، يتفان على أن الوقت قد حان لإنهاء عقود من المواجهة والنزاع، والاعتراف بحقوقهما المشروعة والسياسية المتبادلة، والسعي للعيش في (ظل) تعايش سلمي بكرامة وأمن متبادلين، ولتحقيق تسوية سلمية بكرامة وأمن متبادلين، ولتحقيق تسوية سلمية عادلة ودائمة وشاملة ومصالحة تاريخية من خلال العملية السلمية المتفق عليها".²

9.1 الدراسات السابقة

اعتمدت الباحثة قبل اختيار عنوان الدراسة وقبيل تدوين وصياغة المادة العلمية على مجموعة من الدراسات والأدبيات والمصادر، وقد تنوعت الدراسات بين دراسات عن الهوية الوطنية ودراسات عن اتفاقية أوسلو وبين دراسات جمعت الشقين، وأهم هذه الدراسات التي اعتمدت عليها الباحثة:

1- ماجد كيالي، صعود وأقول الهوية الوطنية والكيانية السياسية الفلسطينية (2012)³

تتناول المقالة صعود الهوية الوطنية الفلسطينية المتأخر عن الوطنيات العربية الأخرى منذ العشرينات أي ما قبل الانتداب البريطاني إلى حدث النكبة الفلسطينية عام 1948، وما

¹ يزيد صايغ: الحركة الوطنية الفلسطينية 1949-1993: الكفاح المسلح والبحث عن دولة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط2، 2003، ص7-8.

² للاطلاع على النص الرسمي الكامل وملاحقه الأربعة، يمكن الرجوع إلى: فلسطين الثورة، العدد945، 26-9-1993، ص7 ومايليها. ويمكن الاطلاع على النص الأصلي باللغة الإنجليزية، الذي تم التوقيع عليه في كتاب محمود عباس (أبو مازن): طريق أوسلو، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط1، 1994، ملحق رقم6، ص349.

³ ماجد كيالي، صعود وأقول الهوية الوطنية والكيانية السياسية للفلسطينيين، مقال منشور صادر عن مجلة الدراسات الفلسطينية، ربيع 2012،

شهدته من انكسار في الهوية الوطنية الفلسطينية وفقدان تعبيرات الهوية والكيانية بعدها، وبناقش الكاتب الأسس السياسية للوطنية الفلسطينية منذ ستينيات القرن الماضي، كتأسيس حركة فتح ودورها الرئيسي في بلورة الهوية الوطنية الفلسطينية، ثم ينتقل إلى البحث في تفكك هذه الوطنية منذ التركيز على مشروع الدولة على أراضي 1967، كما يعالج الكاتب علاقة هذه الوطنية بعدها العربي وإشكاليات ذلك سياسياً، لينتهي إلى مناقشة تفكك الوطنية الفلسطينية مؤخراً، وما يستدعي إعادة بنائها من خلال إعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية، وإعادة الاعتبار إلى مشروع الدولة الديموقراطية العلمانية في كامل أرض فلسطين التاريخية.

2- عبير داوود المراغي، "تأثير الاحتلال الإسرائيلي على الهوية الوطنية الفلسطينية (رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور مسعود الربضي، صادرة عن جامعة الشرق الأوسط - كلية الدراسات العليا - قسم العلوم السياسية - 2013م.

وتهدف الدراسة إلى التعرف على تأثير الاعتداءات الإسرائيلية على الهوية الوطنية الفلسطينية التي تشكلت في خضم صراع مريب خاضه الشعب الفلسطيني لإثبات وجوده، وحقه في تقرير المصير.

وركزت الدراسة على التراث الشعبي كأحد مقومات الهوية الوطنية الفلسطينية، لتثبت أن سرقة التراث لا تقل أهمية عن سرقة الأرض، فقد طالت الاعتداءات الإسرائيلية مناحي الحياة كافة للشعب الفلسطيني، فتعرض التراث الشعبي المادي والمعنوي إلى سياسة ممنهجة من قبل الاحتلال الإسرائيلي الذي وظّف كل طاقاته وصلاحياته الإدارية والسياسية والعسكرية والأمنية من أجل طمس الهوية الوطنية الفلسطينية، من خلال التزوير والتشويه والادعاء بالملكية، فلم يسلم لا البشر ولا الحجر من التشويه، أرادت إسرائيل باستهدافها للتراث الشعبي، تزوير التاريخ والادعاء أن الشعب الفلسطيني بلا تاريخ وبلا حضارة حتى تبرر استيلاءها على الأرض.

كما وتهدف الدراسة إلى إثبات أن كل ما هو على الأرض الفلسطينية هو عربي إسلامي مسيحي فلسطيني الهوية، ينتمي إلى الأمة العربية والإسلامية، التي يشترك معها بالحضارة

والتاريخ والدين واللغة، ويعود بجذوره إلى الآباء والأجداد الكنعانيين وأن الإسرائيليين الغزاة المعتدين ليسوا سوى عابري سبيل على هذه الأرض¹.

وقد اعتمدت هذه الرسالة على التراث الشعبي كأحد المقومات الشعبية للهوية الوطنية الفلسطينية حيث إن الشعب الفلسطيني يتعرض للاعتداءات من قبل الاحتلال الإسرائيلي في مختلف جوانب الحياة في ظل محاولاته المستمرة، لطمس الهوية الوطنية الفلسطينية بحجة أن الشعب الفلسطيني بلا تاريخ وحضارة، وقد بينت الدراسة أهمية التراث وضرورة حمايته من ممارسات الاحتلال الإسرائيلي الممنهجة، بالإضافة إلى إبراز الوسائل التي استخدمها الفلسطينيون لمواجهة هذه الانتهاكات، وقد خلصت الرسالة إلى مجموعة من النتائج أهمها التأكيد على غنى التراث الفلسطيني وعراقة وشواهد التاريخية وإرثه الحضاري الذي تظهر مكانته ورمزيته لدى المسيحيين والمسلمين، كما أكدت الدراسة على أهمية ومكانة مدينة القدس، وأن الاعتداءات عليها تطل كل المواطنين مسيحيين ومسلمين، وترى الباحثة أن أهم ما توصلت إليه الدراسة يكمن في كون التراث الشعبي الفلسطيني ليس موروثاً ثقافياً تناقلته الأجيال فحسب، إنما هو عمل إنساني وحضاري ساهم في تشكيل الهوية الوطنية الفلسطينية فهو بتنوعه وغناه عنصر قوة ساهم في تثبيت الحق الفلسطيني وفي إيصال رسالة الشعب الفلسطيني إلى العالم.

3- الهوية الوطنية الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو وإشكالية التفكك ورقة بحثية بقلم وسام رفيدي باحث ومحاضر جامعي فلسطيني صادرة عن مركز بديل 2017م:

تتعلق هذه الورقة من حقيقة التأثير الذي طال الهوية الوطنية بعد أوسلو، وسلطت الضوء على أبرز المتغيرات الأساسية التي برزت على أرض فلسطين في مطلع القرن العشرين على المستويين السياسي والاقتصادي، حيث أكد الباحث على ضرورة العمل على تبلور سياسي للهوية الوطنية، كشعور جمعي ومؤسسات كيانيه.

¹ عبير داوود المراغي، "تأثير الاحتلال الإسرائيلي على الهوية الوطنية الفلسطينية". رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور مسعود الربضي، صادرة عن جامعة الشرق الأوسط - كلية الدراسات العليا - قسم العلوم السياسية - 2013م.

واعتبر الباحث أن نكبة عام(1948م) قد مثلت كارثة على تعبيرات وكيوننة الهوية الوطنية الفلسطينية، وقد بددت وفككت تلك الكيوننة حيث دمر المشروع الصهيوني المجتمع الفلسطيني في أرض الشعب الفلسطيني المحتل في مناطق 48، واعتبر أن اتفاقية أوسلو مرحلة مفصلية وضربة جديدة للهوية الوطنية، والتي بدورها أحدثت شرخاً في وحدة الشعب الفلسطيني¹.

تتبع أهمية هذه الورقة من كونها أوضحت بدايات تبلور الهوية الوطنية الفلسطينية عبر الزمن وكيف أثرت اتفاقية أوسلو على البنية الاجتماعية الفلسطينية بسبب طبيعة النظام السياسي القائم بعد أوسلو، حيث بدأت الورقة في مرحلة العشرينيات ثم تناولت أبرز المتغيرات الأساسية الحاصلة في هذه المرحلة كوقوع فلسطين تحت الإنتداب البريطاني على اعتبار أنه الزمن السياسي لتبلور الهوية الوطنية الفلسطينية الذي وصل لعام 1948، وما تلاها وتستنجد هذه الدراسة أن الصراع هو حاضنة تبلور هذه الهوية الوطنية الفلسطينية، وتوصلت الورقة في أبرز استنتاجاتها أن اتفاقية أوسلو ألحقت ضرراً بمقومات الهوية الوطنية الفلسطينية، وفي النهاية خلصت الورقة إلى أهمية استمرار تعميق الصلات الوطنية والكفاحية المشتركة بين تجمعات الشعب الفلسطيني، وأيضا التركيز على المحتوى الوطني على صعيد التربية والتعليم في الأوساط الشبابية، وبذل جهد حقيقي تجاه ثقافة التطبيع لصالح قيم وثقافة التحرر الوطني.

4- الهوية جذور ومسار عبد الفتاح القلقيلي

ورقة بحثية وضح الباحث من خلال مقدمة تعريفية معنى الهوية، ومن ثم انتقل للحديث عن خصوصية الهوية الفلسطينية وما تعرضت له من مشروع للغزو استهدف وجودها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي (الحضاري والإنساني بشكل عام)، وكيف أن هذه الهوية تشكلت في خضم صراع مرير خاضه الشعب لإثبات وجوده في المعركة القاسية وغير المتكافئة، وخاصة مع تصاعد الثورة الفلسطينية المسلحة والتي كانت بدورها هي التعبير الأقوى عن الهوية والكيانية الفلسطينية، أما بعد النكبة فكان التعبير الأقوى عنها من وجهة نظر الباحث هو قيام

¹ وسام رفيدي: الهوية الوطنية الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو وإشكالية التفكك. ورقة بحثية، مركز بديل، 2017م.

منظمة التحرير عام 1964، ورغم أن منظمة التحرير كانت هي التعبير القوي عن الهوية الفلسطينية، إلا أن مفهومها عن الكيان الفلسطيني عانى من ضبابية، وخاصة في النطاق الجغرافي وأكد الباحث أن قيام السلطة الوطنية الفلسطينية بشروط أوسلو، خلق تداخل في المراحل وإرباكاً لقيادة الشعب الفلسطيني وفصائله وأفراده، وهذا أوجد خلخلة في الهوية الوطنية الفلسطينية¹.

تأتي أهمية هذه الورقة النقدية من كونها وبرغم تقاطعها مع الورقة السابقة في التأكيد على بدايات تبلور الهوية الوطنية الفلسطينية منذ الاستعمار البريطاني فقط، إلا أنها عرّقت مفهوم الهوية بشكل عام ثم مفهوم الهوية الوطنية وتميزت الورقة بأنها تناولت نبذة عن بدايات الإعلام الفلسطيني، وأكدت على أهمية دور الإعلام كسلطة رابعة خاصة في الحالة الفلسطينية، وتحدثت بشكل مفصل عن أبرز المراحل التي أثرت على مفهوم الهوية الوطنية الفلسطينية، كأثر النكبة وتداعياتها، وأثر المقاومة، وتأسيس منظمة التحرير على الهوية الوطنية الفلسطينية، وما يميز هذه الورقة أنها أكدت على خصوصية الهوية الوطنية الفلسطينية حيث كانت مفصلة تاريخياً أكثر من الورقة السابقة، وأشارت في الفصول إلى أثر اللجوء على اللاجئين الفلسطينيين في الشتات، وطرحت الورقة في نهايتها إمكانية تصحيح مسار القضية الفلسطينية وتفادي الأخطاء التي أدت إلى إحداث شقوق في الهوية الوطنية الفلسطينية مابعد أوسلو من خلال التأكيد إعلامياً على الثوابت، والتي أهمها أن الصراع والتناقض مع العدو الإسرائيلي لازال قائماً ورئيسياً، وأكدت الدراسة على أهمية تلائم الشعب الفلسطيني جماهيراً وسلطةً مع وجود هذا التناقض واستمراره، كما أشارت إلى أهمية عدم الانسلاخ عن امتدادنا القومي الاستراتيجي.

5- محمود معاري أثر الانتفاضة في الهوية الجماعية في الضفة الغربية وقطاع غزة (2004)

حيث تناول هذا البحث موضوع الهوية الجماعية في الضفة الغربية وقطاع غزة وأثر انتفاضة الأقصى في هذه الهوية وقد توصلت الدراسة، إلى أن تكون الهوية الجماعية حسب

¹ عبد الفتاح القليلي: الهوية جذور ومسارات. للمزيد انظر: <https://bit.ly/33LM968>

الدراسة، من عدة هويات فرعية، وذلك بعدد الجماعات التي ينتمي الشخص إليها. فهوية الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة تشتمل على هويات فرعية، أهمها الهوية الحمائلية (العشائرية)، والهوية المحلية، والهوية الدينية، والهوية الفلسطينية، والهوية العربية¹.

برزت أهمية هذه الدراسة من أنها تحدثت عن أثر انتفاضة الأقصى عام 2000 كحدث مفصلي في الهوية الجماعية لدى الفلسطينيين في قطاع غزة والضفة الغربية، وأهم ما أشارت الدراسة إليه أن الهوية الوطنية الفلسطينية بقيت ضعيفة حتى قيام منظمة التحرير الفلسطينية، وتكمن أهمية هذه الدراسة في نتائجها التي توصلت إلى أن الهوية الجماعية تتكون من هويات فرعية إما عشائرية أو محلية أو دينية، وأشارت نتائج البحث أيضاً إلى أن الانتفاضة ساهمت في تعزيز الهويات الحمائلية والمحلية والدينية كهويات فرعية وأن هذه الهويات التقليدية كانت قبل الانتفاضة وأن للسلطة الوطنية الفلسطينية دوراً في تقويتها من خلال نظام سياسي قائم على "الزبائنية"، وجاءت الانتفاضة فعززت هذه الهويات القوية أصلاً بسبب السياسات الإسرائيلية في قطاع غزة، كالإغلاق وفرض الحصار وإيقاف الحركة والتنقل، وتشير النتائج أن الانتفاضة ساهمت في تعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية كهوية رئيسية، وتراجع الهوية الدينية كهوية رئيسية خلال الانتفاضة، كون الأخيرة تمثل صراعاً وطنياً أكثر منه دينياً ضد الاحتلال الإسرائيلي.

دراسات تتعلق باتفاقية أوسلو

6- الفيلم الوثائقي، ثمن أوسلو: وثائقي من إنتاج قناة الجزيرة تم نشره بتاريخ 13-1-

2014

يعرض وثائق ومعلومات حول بدايات الدور النرويجي في تسهيل ورعاية الاتصالات السرية بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني وتفاصيل المفاوضات السرية، التي جرت في أوسلو في النرويج عام 1993، واختفاء الوثائق من وزارة الخارجية النرويجية، ويكشف الفيلم ثمن

¹ محمود معياري: أثر الانتفاضة في الهوية الجماعية في الضفة الغربية وقطاع غزة، مجلة الدراسات الفلسطينية/ المجلدة،

العدد 48، <https://bit.ly/2KqDqij>

أوسلو على الأراضي الفلسطينية المحتلة بعد عشرين عاماً من توقيع إعلان المبادئ في البيت الأبيض 13-9-1993.¹

تري الباحثة أن أهمية هذا الفيلم تكمن في ضمه جميع الأطراف الموقعة لهذا الاتفاق وأهم التدايعات التي أدت إلى توقيعه من خلال الحوار وسرد الحقائق وإجراء المقابلات مع جميع الجهات القائمة و المشاركة والمعارضة أيضاً لهذه الاتفاقية والظروف التي أدت إليها بعد التوقيع بعشرين عاماً، وأهم ما جاء به الفيلم هو الدور الأساسي النرويجي في التوصل لهذه الاتفاقيات بناء على طلب ياسر عرفات آنذاك بفتح قناة اتصال سرية مع الطرف الإسرائيلي، يحتوي الفيلم على تصريحات مهمة لأطراف وقعا الاتفاقية أهمها تصريح ياسر عبد ربه: " أوسلو لم يتضمن الكلمات التالية إطلاقاً وهي:إنهاء الاحتلال، إنهاء الاستيطان، ولا كلمة دولة فلسطينية مستقلة". وتصريح أحمد قريع أحد الموقعين على الاتفاقية: "إن إسرائيل أرادت من هذه الاتفاقية أن تبقى على الاحتلال وأن تصنع فقط سلطة محلية وسيطة".

7-حنان حنا قمر رسالة بعنوان: خفايا الخطوة الإسرائيلية إلى أوسلو ما بين الأهداف والاستراتيجية 2007:²

بحثت هذه الرسالة الأسباب الكامنة وراء القرار الرئيسي في 1993، للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية والتوقيع على اتفاقية أوسلو وقد توصلت الرسالة في خلاصتها إلى الآتي:

1- أن الطرف الإسرائيلي تمكن من تحقيق مكاسب بدءاً من مؤتمر مدريد للسلام حتى توقيع اتفاقية أوسلو لاحقاً.

2- من خلال الاتفاق تمكنت إسرائيل من الاحتفاظ بزمام السيطرة الفعلية على الأراضي الفلسطينية عام 1967 وتعزيز أمنها من خلال مدلولات الاتفاق.

¹ الفلم الوثائقي، ثمن أوسلو، الجزيرة نت، <https://bit.ly/2NETSNU>

² حنان حنا قمر: خفايا الخطوة الإسرائيلية إلى أوسلو ما بين الأهداف والاستراتيجية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزيت، كلية الدراسات العليا - معهد أبو لغد، 2006-2007 ميلادي.

3- تحقيق المكاسب على مستوى العلاقات الدبلوماسية السياسية والاقتصادية مع الدول العربية المجاورة والأخرى الآسيوية.

وتؤكد الباحثة أن خطوة الإقدام على توقيع الاتفاقية كانت خطوة جريئة مثلت قفزة نوعية عن السياسة الإسرائيلية المعهودة في ذلك الوقت، والتي اعتبرت منظمة التحرير منظمة إرهابية يحظر التعامل معها تحت أي ظروف إلى أن تم فتح مفاوضات سرية بين أكاديميين إسرائيليين وثلاثة من أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية، وقد تم في ذلك الوقت نتيجة للتغيير الذي طرأ على توزيع القوى على المستويين الإقليمي والدولي.

وتأتي أهمية الدراسة كونها تطرح توقيماً لاتفاق فعلي لحل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي بعد مبادرات أمريكية فشلت ومحاولات لإبعاد منظمة التحرير الفلسطينية، لكنها تمت وقتها نتيجة تغيير على الساحة الدولية آنذاك على مستوى الأطراف الموقعة الطرف الإسرائيلي من جهة ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة أخرى.

8- رولا سرحان: نصوص اتفاقية أوسلو وفشل التطبيق 1993-2000، (2006)¹

تتناول هذه الدراسة فشل اتفاقية أوسلو من خلال التركيز على نصوص الاتفاقية الموقعة بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي باعتبارها عاملاً أساسياً ومهماً قاد ضمن مجموعة من العوامل الأخرى إلى فشل الاتفاق وقد تم التوصل إلى عدة نتائج في البحث أهمها:

1- أن النص تعثره مشاكل منذ بداية التوقيع عليه، حيث لم يؤسس لحالة من إنهاء الصراع بين الجانبين، بل على العكس ساهم في تعميق الفجوة بينهما.

2- الاتفاق لم يؤسس لتغيير شكل العلاقة بين الجانبين ولم يتضمن أي إشارة وتوضيح لطبيعة الشكل النهائي للحل المتوقع بين الجانبين.

¹ رولا سرحان، نصوص اتفاقية أوسلو وفشل التطبيق 1993-2000، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بيرزيت، كلية الدراسات العليا - معهد أبو لغد للدراسات الدولية، 2005-2006 ميلادي.

3- وأخيراً أن الاعتماد على المرحلية والغموض والعمومية في الاتفاقيات التي تكون بين أعداء لا تتجح في الغالب ويجب أن تكون هناك عوامل مساعدة أهمها عامل بناء الثقة بين الأطراف الموقعة على الاتفاق.

توزعت الأدبيات السابقة بين شقين، الأول يتعلق بالهوية الوطنية الفلسطينية، والثاني يتعلق باتفاقية أوسلو، ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

- 1- فيما يخص أدبيات الهوية الوطنية الفلسطينية فهي تقع بين العام 2004 - 2017.
- 2- تتوعت بين أوراق بحثية ومقال ورسائل ماجستير، حيث ربطت العديد من الدراسات بين تحولات الهوية الوطنية الفلسطينية في نشوئها وتطورها وبين كفاح الشعب الفلسطيني ضد خطر الصهيونية والاستعمار الغربي والاحتلال الإسرائيلي.
- 3- اتفاق الباحثين كيالي (2012)، والمراعي (2013)، والقلقيلي، حول نكبة 48 كحدث أدى إلى تدمير المجتمع الفلسطيني وتمزيق هويته.
- 4- تميزت دراسة المراعي (2013) في تسليط الضوء على التراث الفلسطيني كجزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية الفلسطينية التي يحاول الاحتلال طمسها وسرقتها وتهويدها.
- 5- ركزت ورقة القلقيلي على جانب خصوصية الهوية الوطنية الفلسطينية وتميزها وأيضاً أهمية دور الإعلام في تعزيز هذه الهوية.
- 6- تناول ميعاري (2004) حدث انتفاضة الأقصى كمرحلة هامة في تعزيز و بروز الهوية الفلسطينية كهوية رئيسية على حساب هويات فرعية أخرى.
- 7- فيما يخص أدبيات أوسلو فكانت عبارة عن الفيلم الوثائقي ثمن أوسلو ورسالتين ماجستير والادبيات تقع بين العام 2006-2014.
- 8- أجمعت الادبيات سرحان (2006)، حنا (2007)، وفيلم ثمن أوسلو (2014)، على فشل تطبيق أوسلو على أرض الواقع وتعننت الطرف الإسرائيلي.

9- أشار فيلم ثمن أوسلو إلى الفجوة بين الأطراف المتفاوضة من حيث قلة خبرة الطرف الفلسطيني أثناء ذهابه للمفاوضات مقابل الاستعداد المسبق التام للطرف الإسرائيلي.

10- دراسة سرحان (2006) أعزت أسباب فشل التطبيق إلى النصوص أولاً وعدم الوضوح بين الطرفين وخاصة في نقطة كيفية إنهاء الصراع.

11- أكدت دراسة قمر (2007) على المكاسب والضمانات المحققة للطرف الإسرائيلي من جراء توقيع الاتفاقية خلال إحكام السيطرة على الفلسطينيين وإبقاء الاحتلال.

ما يميز الدراسة عن الدراسات السابقة:

يمكن تحديد جوانب اختلاف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة فيما يلي:

من حيث موضوع الدراسة: تُعنى الدراسة الحالية في معرفة أثر اتفاقية أوسلو في الهوية الوطنية الفلسطينية وذلك بمختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبالرغم من وجود عدة دراسات وأوراق بحثية ومقالات طرحت نفس موضوع الدراسة إلا أنها لم تشمل هذه الجوانب ولم تدرسها فيما يخص الدراسات المتعلقة بالهوية الوطنية الفلسطينية مثلاً تطرقت بعض الدراسات إلى بدايات تبلور الهوية أو تأثير الاحتلال الصهيوني عليها أو تأثير مرحلة تاريخية معينة على الهوية الوطنية الفلسطينية أما الدراسات المتعلقة في اتفاق أوسلو فكانت أغلبها تتطرق إلى تداعيات الاتفاق وإشكالية نصوصه وتطبيقه على أرض الواقع دون ربطه بالهوية الوطنية الفلسطينية، أي أنها عالجت الاتفاقية من نفس الزاوية وفيما يخص الدراسات التي جمعت بين الشقين فكانت تطرق إلى بُعد سياسي بالدرجة الأولى، أما من حيث عينة الدراسة فقد اعتمدت الدراسة على المقابلات المعمقة مع المختصين في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وهو ما يميز الدراسة بشكل عام عن سابقتها.

الفصل الثاني

الإطار المفاهيمي

الفصل الثاني

الإطار المفاهيمي

1.2 الهوية بشكل عام

يُعرّف المفكر الفرنسي أليكس ميكشيللي الهوية بأنها: عبارة عن منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تتطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحدها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تتطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، فالهوية هي وحدة المشاعر الداخلية، التي تتمثل في وحدة العناصر المادية، والتمايز، والديمومة، والجهد المركزي، وهذا يعني أن الهوية هي وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة، التي تجعل الشخص يتميز عن سواه، ويشعر بوحده الذاتية.¹

أما صمويل هنتجتون فيرى الهوية بأنها: إحساس فرد أو جماعة بالذات، أي أنها نتيجة وعي بالذات، بأنني، أو نحن، نمتلك خصائص كينونة تميزني عنك وتميزنا عنهم، فالطفل الجديد يمتلك عناصر هوية ما عند ولادته بعلاقة مع اسمه وجنسه وأبيه وأموته ومواطنيته، وهذه الأشياء في كل حال لا تصبح جزءاً من هويته حتى يعيها الطفل ويعرّف نفسه بها.²

والهوية (Identity): هي حقيقة الشيء من حيث تميزها من غيرها، وتسمى أيضاً هوية الذات.³

وتشير معاجم اللغة، ومنها المعجم الوسيط إلى أن الهوية تعني: حقيقة الشيء أو ما يميز شخص عن غيره، وهي أيضاً تمثل بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتعد البطاقة الشخصية التي تعرف عنه، وتعني بذلك التفرد الذي يتميز به الشخص عن غيره بما يتمتع به من صفات جوهرية، تجعل له ذاتاً مستقلة.⁴

¹ أليكس، ميكشيللي: الهوية، ترجمة د. علي وطفة، الطبعة العربية الأولى، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق: 1993
² صمويل هنتجتون: من نحن التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ط1، ترجمة حسام الدين خضور، دار الحصاد، دمشق، 2005، ص37.

³ علي سعيد إسماعيل: الهوية والتعليم ط1، عالم الكتب للتوزيع والنشر والطباعة، القاهرة، 2005، ص 24.

⁴ أنيس إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، الجزء الثاني، إسطنبول، دار الدعوة: 1989 ص 998.

2.2 الهوية الوطنية

يتسم مفهوم الهوية الوطنية الذي استعارته العلوم الاجتماعية والسياسية بالثبات النسبي، فهو أشبه ببنية متحركة تتحرك على محور ثابت هو مرتكزات الهوية أو مصادرها. والهوية الوطنية ليست حب الوطن، ولا الانتماء أو الولاء ولا المواطنة: الهوية الوطنية - وهذا التقدير أولي - هي نسق المعايير التي يُعرف بها الوطن ويُعرّف، وهي التي تُشكّل خصوصيته وتميزه وفرادته.¹

ويعتبر مصطلح الهوية من بين أهمّ المصطلحات التي تناولتها البحوث بالدرّس والتّحصيل في مختلف المجالات والاختصاصات، إذ يتضمّن مفهوم الهوية الإحساس بالانتماء المجتمعي والقومي والديني. وهو بذلك حاضر في كلّ مظاهر الحياة بأبعادها الاجتماعيّة والثّقافيّة وحتىّ العقائديّة، حاضر حضوراً لا يمكن تحديده مكانياً ولا زمانياً، حاضر فينا كأفراد ومجتمعات، حاضر حتىّ في الآخر المختلف عنّا، باعتباره سرّاً تميّزنا وتقرّدنا. وهو ما دفع البعض إلى الجزم بأنّه " ليس ثمة ما هو أقلّ تحديداً وأكثر تشبّهاً ممّا هي هويّة كل واحد".²

بعد كل دورة زمنية في التاريخ تبرز حاجة المجتمعات لتأكيد ذاتها، أو مراجعة انتمائها فالمجموعات البشرية توطّر هذا الانتماء بملامح المشتركة الإنسانية فيما بينها، وتسمي هذا الانتماء بما يدل على الهوية كمضمون المواطنة ومفهوم الهوية، هدف المفاهيم السياسية الحديثة، برزت ضمن أطر من الروابط والمصالح المشتركة الجغرافية والتاريخية، فهي من الروابط الأساسية وفي بعض الأحيان تعبر الهوية إلى أوسع من ذلك أو تتمحور على نطاق أضيق من ذلك. الهوية القومية أو الهوية الدينية أو الهوية العرقية أو الهوية الطائفية، هي نماذج للهوية الضيقة، ولكن هناك نموذج أوسع من ذلك عندما تكون الهوية جامعة لأكثر من قومية وأكثر من

¹ قراءات ومراجعات في ضوء الأزمة السورية، مؤتمر الهوية الوطنية، مركز دمشق للأبحاث والدراسات مداد، أيلول سبتمبر 2017،

² فرانسوا (جان)، مرايا الهوية: الأدب المسكون بالفلسفة، ترجمة كميل داغر، المنظمة العربيّة للترجمة، 1996، ص.15.

دين أو أكثر من عرق وأكثر من طائفة، وبهذا تتجاوز الهوية إطارها الضيق لتعبر عن المشترك الأوسع في الانتماء، وهي الهوية الوطنية التي تنتمي لجغرافية وتاريخ ومصالح مشتركة.¹

يعرف الكاتب والسياسي مروان حبش مفهوم الهوية الوطنية في كل جماعة بأنها الخصائص والسمات التي تتميز بها، وترجم روح الانتماء لدى أبنائها، ولها أهميتها في رفع شأن الأمم وتقدمها وازدهارها، وبدونها تفقد الجماعات كل معاني وجودها واستقرارها، بل يستوي وجودها من عدمه. وهذه السمات تعبر عن كيان ينصهر فيه أفراد منسجمون ومتشابهون بتأثير من هذه الميزات والخصائص التي تجمع ما بينهم. ومن منطلق هذا الشعور الوطني؛ فإن كل فرد يستمد إحساسه بالانتماء والهوية، ويشعر بأنه ليس مجرد فرد نكرة، وإنما هو مشترك مع مجموعة كبيرة من الأفراد في عدد من المعطيات والأهداف والمكونات، إضافة إلى انتمائه إلى ثقافة مركبة من جملة من الرموز والمعايير والصور.²

إن الهوية من حيث أنها أمر موضوعي وذاتي معاً، "هي وعي الإنسان وإحساسه بانتمائه إلى مجتمع أو أمة أو جماعة أو طبقة في إطار الانتماء الإنساني العام، إنها معرفتنا بما، وأين، ومن أين أتينا، وإلى أين نمضي، وبما نريده لأنفسنا وللآخرين، وبموقعنا في خريطة العلاقات والتناقضات والصراعات القائمة، كما عرّفت الهوية أيضاً بعدها شعوراً جمعياً لأمة أو لشعب ما، يرتبط ببعضه ارتباطاً مصيرياً ووجودياً".³

3.2 ما هي القومية العربية

هي رابطة تاريخية تضم وتجمع وتوحد المجموعة السكانية القاطنة في هذه البقعة من العالم، اعتماداً على اللغة والتاريخ والخصائص النفسية والمصالح المشتركة، وهي حركة تحرر وطني وتغيير حضاري، تهدف إلى توحيد الشعب والطاقات، وإلى تحرير الأرض والإنسان،

¹ حبيب صالح المهدي: دراسة في مفهوم الهوية، هيئة التعليم التقني 2009 <https://bit.ly/2O7iKg3>

² مروان حبش: مقارنة في مفهوم الهوية الوطنية. مقال إلكتروني <https://bit.ly/371RpEA> - 17 أغسطس 2017

³ محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، ط 3، دار الطليعة، بيروت، 1988.

وإلى بناء صيغة جديدة لعلاقات داخلية وخارجية تعتمد الحرية والمساواة والعدل، وتساهم في إقامة عالم أفضل.¹

4.2 ماهية الهوية العربية

الهوية العربية هي مجموع الخصائص التي تميز الجماعة العربية من غيرها من الجماعات الإنسانية، وعلى رأس هذه الخصائص المميزة: اللغة العربية، والدين الإسلامي، والحضارة العربية_ الإسلامية. فالوجود العربي في التاريخ والحاضر الإنساني مرتبط بهذه الخصائص واستمراريتها، ولا يتصور وجوده بعيداً منها.²

أما ساطع الحصري فيستنتج في كتابه آراء وأحاديث في القومية العربية إن كل الشعوب التي تتكلم العربية - كل الشعوب الناطقة بالضاد، حسب التعبير المشهور- هي عربية.. وكل فرد ينتسب إلى أحد هذه الشعوب، هو عربي.³

ويكمل الحصري المصريون، والسوريون، واللبنانيون، والفلسطينيون، والعراقيون، والنجديون، والحجازيون، واليمانيون، والليبيون، والتونسيون، والمغاربة... كلهم ينتسبون إلى أمة واحدة، هي الأمة العربية.

هناك شعوب عربية عديدة، ولكن هذه الشعوب كلها تنتسب إلى أمة واحدة، هي الأمة

العربية.

¹ عبد الرحمن منيف: *الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، القومية والهوية والثورة العربية*، ص 68، في الأصل نشر هذا البحث، في المستقبل العربي، سنة 9، عدد 95 كانون الثاني يناير 1987، من 65-101.

² محمد جبرون: *انشقاق الهوية جدل الهوية ولغة التعليم في المغرب الأقصى من منظور تاريخي*، مجموعة مؤلفين: *اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية*، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت كانون الثاني يناير 2013، ص 50+51.

³ ساطع الحصري: *كتاب آراء وأحاديث في القومية العربية* (محاضرة في القومية العربية القيت في قاعة جمعية الوحدة العربية بالقاهرة في 21-كانون الأول 1950)، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1959، ص64.

وهناك دول عربية عديدة ولكن هذه الدول كلها تسوس فروع أمة واحدة، هي: الأمة العربية.

لكل واحد منا.. لكل واحد من منتسبي هذه الشعوب.. لكل واحد من مواطني هذه الدول.. أن يقول: أنا مصري، أو أنا عراقي، أو أنا سوري، أو أنا لبناني.. ولكن عليه أن يقول، في الوقت نفسه: أنا عربي كما يجب عليه أن يقول: العروبة فوق الجميع.¹

5.2 مستويات التعبير عن الهوية

ميز د. علي الدين هلال بين ثلاثة مستويات مختلفة عند تحليل موضوع الهوية:

أولاً: الهوية على المستوى الفردي، أي شعور الشخص بالانتماء إلى جماعة أو إطار إنساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات.

ثانياً: التعبير السياسي الجمعي عن هذه الهوية في شكل تنظيمات وأحزاب وهيئات شعبية ذات طابع تطوعي واختياري.

ثالثاً: تبلور وتجسد هذه الهوية في مؤسسات وأبنية وإشكالية قانونية على يد الحكومات والأنظمة.²

فالهوية الوطنية العربية هي الإطار الجامع للشعب الواحد من كل أبناء الديانات والمذاهب والأعراق في الوطن الواحد، والقومية العربية هي الانتماء الواحد للثقافة العربية في الإطار الأوسع الجامع للشعب العربي الواحد على امتداد الوطن العربي من الخليج إلى المحيط الأطلسي.³

¹ ساطع الحصري: كتاب آراء وأحاديث في القومية العربية، مرجع سابق ص70

² علي الدين هلال، جامعة الدول العربية: الواقع والطموح تعقيب على ورقة د. غسان سلامة في بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمتها مركز دراسات الوحدة العربية، تونس من 28 نيسان إلى 2 مايو 1982، بيروت 1983، ص 815.

³ ممدوح طه، الهوية الوطنية والشخصية العربية، موقع البيان الإلكتروني، 18-10-2013 متوفر على الموقع

الإلكتروني: <https://bit.ly/2NEAoc1>

6.2 صورة الهوية العربية

إن صورة الهوية العربية عند السيد يسين هي حصيلة لخبرة تاريخية مشتركة، ولغة عربية واحدة وتراث ثقافي مشترك. وعن النسق الرئيسي والسمات البارزة " الشخصية العربية" و " الهوية العربية"، ويقول:

1- هناك شخصية عربية تعبّر عن أمة عربية واحدة.

2- تقوم الشخصية العربية على دعامين أساسيين: نمط أساسي للإنتاج نما وتطور في البلاد العربية كلها وفق مراحل متشابهة. بناء فوقي واحد أبرز عناصره: الخبرة التاريخية المشتركة واللغة العربية والتراث الثقافي المشترك".¹

7.2 أنواع الهوية العربية

يرى غسان سلامة بخصوص تنوع الهويات في الوطن العربي أن هناك أربع هويات اليوم وهي برأيه:

1- الهوية الدينية (الإسلامية).

2- الهوية الإقليمية.

3- الهوية المحلية مثل " الهوية المغربية" و " الهوية الخليجية".

4- الهوية السياسية الآيلة إلى إنشاء تجمعات ومحاور داخل المجموعة العربية تبعاً للمواقف السياسية.²

ويرد رياض زكي القاسم على غسان سلامة أن هذه "الهويات" موجودة، فعلاً، لكنها برأيه أقرب في الحقيقة إلى كونها محاور أو تكتلات رسمية في السياسة العربية، فرضتها

¹ السيد يسين، الشخصية العربية بين صورة مفهوم الذات ومفهوم الآخر، النسق الرئيسي والأنساق الفرعية، ط1، القاهرة مكتبة مدبولي، 1993، ص 172-173.

² غسان سلامة، الجامعة والتكتلات العربية ورقة قُدمت إلى جامعة الدول العربية: الواقع والطموح.

معطيات جغرافية واقتصادية وهي هويات عابرة تفسر بأهمية التأثير الأجنبي، ولا تكاد أية هوية (من تلك التي ذكرها الباحث) تتميز بإجماع شعبي محلي أو إقليمي أو عربي، لأن حدودها تقررت بمواقف سياسية رسمية. فهي، لذلك، مظاهر لا ترقى إلى مستوى الهوية التاريخية، وهي هويات صنعتها السياسة، ولم يصنعها التاريخ الاجتماعي أو الإجماع الشعبي، وقد ظهرت نتيجة لأزمة التطور العربي، ولضيق المنظور الرسمي العربي أو افتقاده المنظور الاستراتيجي والتقدير التاريخي والمستقبلي. ويكمل القاسم إن هذه الهويات في نهاية التحليل، تتضارب وتضعف الهوية العربية، وهي حالة تعكس فهم التنوع على أنه تعدد، وتعكس خدمة المصالح الأنية والضيقة لبعض الفئات.¹

يثير التباس مفهوم الهوية الوطنية وعدم وضوح حدوده في بقاع كثيرة من بلاد العالم مشاكل عدة، نظراً لكونه من أكثر المفاهيم إثارة للخلافات بين المتحاورين والكتاب والفرقاء السياسيين، ولعل الوضع الحالي في فلسطين والأقطار العربية يمثل تجسيدا لهذه الحقيقة، فعلى الرغم من الاتفاق على أهميته الجوهرية في إرساء الوحدة الوطنية على أسس راسخة، إلا أننا نادراً ما نلاحظ وجود اتفاق حول ماهية هذه الهوية وأبعادها الثقافية والفكرية والسياسية.²

8.2 أبرز المبادئ لتحديد مقومات الهوية الوطنية

ولعل من المناسب بداية أن يتم تحديد مبادئ عامة يجري الاحتكام إليها في الحديث عن مقومات الهوية الوطنية. وهي المبادئ التي يمكن حصرها في الآتي:

1- أن تكون الهوية منسجمة مع معطيات الفكر السياسي والقانوني الحديث الذي يستند إلى قاعدة المواطنة بوصفها معياراً جوهرياً ومبدأً قانونياً تتحدد بموجبه حقوق وواجبات جميع أبناء الشعب أو الأمة ممن يحملون هذه الهوية، وماهية علاقتهم بالدولة.

¹ رياض زكي القاسم: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، الهوية العربية والتنوع. ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، تشرين الثاني نوفمبر 2013. ص 38.

² عبد الفتاح القليلي، أحمد ابوغوش، الهوية الوطنية الفلسطينية خصوصية التشكل والإطار الناظم مرجع سابق.

2- أن تكون الهوية معبرة عن الواقع الراهن للشعب أو الأمة، بوصفه/أو بوصفها كلاً غير قابل للتجزئة. بمعنى أن الهوية لن تكون انعكاساً لتصور فئة ما دون غيرها. وهذا يجعلها هويةً وطنيةً بحق وليست تعبيراً عن موقف سياسي أو أيديولوجي ضيق، وليست تعبيراً عن هوية فرعية، كذلك ذات الأصول الأثنية أو الدينية أو الاجتماعية الفئوية أو غيرها. فالهويات الجزئية في تركيب الشعب الواحد أو الأمة الواحدة قد تتنازع الهوية الوطنية، ولكن حتى إن سادت لفترة ما، لا ترقى إلى مستوى الهوية الوطنية.

3- أن تكون الهوية عامل توحيد وتقوية وتفعيل للحراك السياسي الاجتماعي والاقتصادي في البلاد على الأسس الواردة في المبدئين أعلاه، وأساساً راسخاً لتعزيز الكيان السياسي الموحد للدولة واستكمال بناء مؤسساتها المعبرة عن وحدتها¹.

9.2 الهوية الوطنية العربية

الهوية في اللغة العربية مصدر صناعي مركب من "هو" ضمير المفرد الغائب المعرف بأداة التعريف "أل" ومن اللاحقة المتمثلة بال "ي" المشددة وعلامة التأنيث، أي "ة".

أما في تراثنا الفكري العربي فهناك تعريفات كثيرة "للهوية"، إذ عرفها الجرجاني بأنها الأمر المتعقل من حيث امتيازه من الأغيار. و"الهوية" عند ابن رشد تقال بالتزادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود. وعند الفرابي: "هوية الشيء: عينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المتفرد له الذي لا يقع فيه إشراك"².

ويمكن القول حول مفهوم الهوية بأنها الرمز، أو العامل المشترك الذي يجمع عليه كل أفراد الأمة، أي أمة، من حيث الانتساب والتعلق والولاء والاعتزاز. وهذا الانتساب والتعلق والولاء والاعتزاز يكتسب قداسته لأنه ليس موضع شك من طرف أي فرد، خاصة ممن تتكون

¹ عبد الفتاح القلقلي وأحمد أبو غوش: الهوية الوطنية الفلسطينية: خصوصية التشكل والإطار الناظم، ورقة عمل رقم 13، بديل المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين. نيسان 2012.

² رياض زكي قاسم: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ماهية الهوية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، تشرين الثاني نوفمبر 2013.

منهم قاعدة الهرم، وهي هوية القاسم المشترك بين الجميع، استناداً إلى الخلفية الثقافية والتاريخية الواحدة. ومما يجعل هذا الإعتزاز بالهوية أمراً مشروعاً أيضاً، وحدة المصالح والمستقبل الواحد. بهذا المعنى، الهوية هي الذات الجماعية لأفراد الأمة كلهم، والمّس بها يمسّ كيان الأمة كله، ويمس في الوقت نفسه كل فرد منها على السواء، لانه شك في الماضي وطعن في الحاضر ويأس من المستقبل.¹

10.2 بين القومية والهوية الوطنية

كان ظهور القومية في الوطن العربي خلال القرن العشرين ميلادي نتيجة لتأثرها بالحركات القومية الأوروبية وسيطرة الدولة العثمانية في تلك الفترة، حيث كانت هذه الحركات في البداية عبارة عن تعبير للهوية العربية بداية بالمطالبة بالإصلاحات في الدولة العثمانية وتساوي الحقوق ما بين العرب والأترك، إلى أن وصل العرب إلى المطالبة بالإنفصال عن الدولة العثمانية والإستقلال التام عنها واعتبار اللغة العربية لغة رسمية في البلاد العربية، فظهرت أحزاب وجمعيات ناضلت من أجل ذلك، ثم تحولت هذه المطالب إلى ثورة عربية بقيادة الشريف حسين والتي انعكست فيما بعد بالسلب على الدول العربية التي تعرضت للإنتداب الفرنسي والبريطاني.²

برزت خارطة الشرق العربي بعد الحرب العالمية الأولى وباختصار كبير على النحو

التالي:

كانت بريطانيا تستعمر مصر (بما فيها السودان) ومنذ الثمانينات من القرن التاسع عشر.

قسمت بريطانيا وفرنسا سوريا الكبرى فيما بينهما بعد الحرب العالمية الأولى على النحو

التالي:

¹ رياض زكي قاسم: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ط1، سلسلة كتب المستقبل العربي (68)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013.

² أمينة صفاقسي: القومية الأوروبية والقومية العربية دراسة مقارنة. رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر-بسكرة الجزائر، 2016-2017.

استعمرت بريطانيا فلسطين، والأردن التي ساعدت على إنشائها والعراق، كما استعمرت فرنسا لبنان وسوريا، وكانت فرنسا في استعمار الجزائر منذ القرن التاسع عشر. وقد باشرت فرنسا باحتلال المغرب وتونس قبل الحرب العالمية الأولى. ولم يبق مستقلاً في كل العالم العربي إلا اليمن والحجاز.

وهكذا كان العالم العربي معزولاً عن بعضه البعض وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية وما بعدها.¹

بقي السؤال عن الهوية العربية في الفكر القومي العربي سؤالاً مركزياً لكن البحوث في العقود التي تلت الحرب العالمية الثانية، تنوعت وتشعبت في الموقف من الهوية، فعقد الثمانينات شهد جدلاً واسعاً في قضايا القومية، والهوية، والدولة القطرية، والانتماء السياسي..، وصحيح أن هذا الجدل لم يتجاهل الهوية في صلب بحوثه، لكنه كثيراً ما تحدث عن التعددية في الهوية، بحيث شملت القبلية والطائفية والقطرية والهوية القومية والإسلامية؛ وهو ما أدى إلى تعقيد المسألة، وبالتالي جعل فكرة أمة عربية قائمة فقط على هوية عربية واحدة " وجهة نظر"، أو " مسألة خلافية" أو " فكرة مجردة"، أحياناً، يرى البعض أنها تُجافي الواقع.²

ويرى الدكتور نديم البيطار أن: هوية الأمة هي هوية تاريخية، والتاريخ هو الذي يُشكّلها³ ويفسر رياض زكي القاسم أن البيطار يقصد أنه لا وجود لهوية خارج المجتمع والتاريخ، فالأمة وحدها تملك الهوية، سواء كانت جماعة (صغيرة أو كبيرة بشرط تماثل أفرادها وانصهارهم في في الوجود المجتمعي الجماعي) وأي فرد لا يستطيع أن يستقل عن الجماعة (الأمة) في هذا الإطار، أي أنه في حاجة إلى هوية تجمعهم مع آخرين، لأنه ليس بإمكانه أن تكون له هوية وحده، كما أنه ليس بإمكان أية قوة أن تفرض هوية ما على مجموعة من الناس دون اختيار حرّ من طرفهم. والهوية بهذا المعنى مثل " أرض الوطن" بالنسبة إلى الشعب أو

¹ فايز صالح أبو جابر: القومية العربية والدول الكبرى، مكتبة الرائد، عمان، 1999.

² رياض زكي قاسم: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مرجع سابق.

³ نديم البيطار: حدود الهوية القومية: نقد عام، دار الوحدة، بيروت، 1982، ص19.

الأمة، أي هي ملك مشاع للجميع، ولكن لا يملك أحد الحق في التفريط بجزء منها، ولا يصح التنازل عنها.¹

يُقصد بالقومية أنها مجموعة الروابط التي تعمل على توحيد أمة ما، بناء على مجموعة من القواسم المشتركة، والتي يأتي على رأسها اللغة والأرض والتاريخ ووحدة الأهداف والآمال والمصير والمصالح المشتركة، لخلق وحدة سياسية بهدف مواجهة المخاطر المحدقة بها.²

الهوية الوطنية: ويقصد بها العلاقة وجدانية التي توحد بين الإنسان والأرض التي يرتبط بها، وتصبح الأرض جزءاً من الإنسان، فهو مستعد للتضحية من أجل وخدمتها مهما كان الثمن وكثيراً ما تترادف مع مصطلح الهوية لذلك نقول فلسطيني أو أردني.³

أما غالب بن علي عواجي فقدّم تمييزاً بين القومية والوطنية حيث قال: "إن القومية والوطنية كليهما مصطلحان انبثقا من العصور الجاهلية في أوروبا، وأحل محل الدين حيث رؤوا أن اجتماع الشعوب على القومية والوطنية أحسن من الاجتماع على الدين..."⁴.

11.2 سمات الهوية الوطنية في الواقع العربي

إذا أردنا أن نتناول مفهوم الهوية الوطنية في الواقع العربي بشكل خاص فعلياً أن نحدد سماتها الخاصة وهي:

1- استمرار حالة التنازع مع الآخر ومع الذات: لقد تشكل الواقع العربي وتطور عبر قرون طويلة، فشكل سمات الفرد العربي وتطوره الثقافي والقيمي. ولأن الهوية كما أشارت الباحثة تتشكل من خلال العلاقة بين الذات والآخر خلال تطور طويل، فإن الهوية القومية

¹ رياض زكي قاسم: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ، مرجع سابق.

² دياب مصباح شلح: كتاب التاريخ للصف الثاني عشر درس القومية والهوية. وزارة التربية والتعليم العالي، فلسطين 2018-2019. ص 4،

³ المرجع السابق.

⁴ غالب بن علي عواجي: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، ج1، المكتبة العصرية الذهبية، السعودية جدة، 2006، ص 910.

العربية مرت بعدة مراحل في تطورها، وشهدت حالات من المد والجزر، وهي منذ أكثر من قرنين تعيش حالة مخاض. فهناك عوامل تدفع باتجاه طمسها لمصلحة هويات وطنية قطرية، هندس الاستعمار حدودها وشكل دولها، وما زالت تؤثر على مستوى التطور فيها مضمونا وشكلا. وهناك عوامل تحافظ على وجودها وتعزز الحاجة إليها.

2- غلبة البعد القطري على البعد القومي: تشهد الهوية القومية تراجعاً لمصلحة الهويات الوطنية القطرية، وهي رغم أفعال وسياسات الأحزاب والحكومات المنادية بالوحدة نظرياً والمسيسة لفكرتها ممارسة، والتي بسببها أصبحت الوحدة بعيدة المنال، ما زالت تحافظ على مكانة مهمة في فكر الجماهير العربية. بيد أن الهوية القومية في ظل تشكل الدول القطرية والهويات الوطنية أصبحت طموحا وهدفا غير ملموس وصعب المنال، وربما مؤجل، خاصة في ظل انشغال الجماهير العربية بقضاياها الوطنية الملموسة كغلاء الأسعار والبطالة والرواتب والتخلف والفقر وسوء توزيع الثروة والتبعية والتهميش والتعليم والصحة والفساد وعدم ديموقراطية الحكم وغيرها من القضايا.

3- البعد القومي كامن وليس منعدما: الهوية الوطنية كما تراها الباحثة ويراها آخرون ليست في حالة تناقض مع الهوية القومية. وهي كذلك فقط إذا كانت تسعى إلى انكفاء الدولة القطرية على ذاتها لتخليد التجزئة، أو بسبب السعي نحو بقاء تبعية البنية الاقتصادية والثقافية والفكرية فيها للمركز الإمبريالي العالمي، أو بسبب تصالحها مع أحد أهم أعداء الأمة العربية مجتمعة أو أقطارا منفصلة وهي "دولة إسرائيل" الاستيطانية التوسعية التي أقيمت على الأرض الفلسطينية بعد تدمير قراها ومدنها وتهجير وتشنيت سكانها.

4- تأكيد الهوية الوطنية الفلسطينية ضرورة نضالية وليست طبيعة انعزالية: فالشعب الفلسطيني أحوج ما يكون للحفاظ على هويته الوطنية لأنها مستهدفة من عدو استيطاني إحلالي بنى وجوده على مرتكزات أساسية أهمها: أن "فلسطين وطن بلا شعب لشعب بلا وطن"، وأن الشعب الفلسطيني وطنه الأردن وبالتالي هويته أردنية، "وهو جزء من الأمة العربية ولديه عشرون دولة ليقيم فيها" وغيرها من الادعاءات التي ليس آخرها "هوية الشعب

الفلسطيني مزيفة". لذلك يصح القول في السياق الفلسطيني يصبح التأكيد على الهوية الوطنية ضرورة نضالية لتأكيد الوجود وبالتالي الحقوق؛ أي ما يتجاوز ضرورات تمييز الذات عن الآخر كما هو الحال لدى الشعوب الأخرى. فالهوية الوطنية الفلسطينية تتميز بكونها تستند إلى وجود تاريخ بدعم من كل دول العالم الاستعماري. من الصمود والنضال الفلسطيني مضمخ بدم الشهداء وعرق المناضلين في مواجهة عدو استيطاني فاشي إحلالي.¹

5- الربط الخلاق بين الهوية الوطنية لكل قطر عربي والهوية القومية: هذا الربط ممكن وملح وضروري في مسيرة التحرر والتقدم العربية ويقرب من الوحدة العربية ويساهم في نفي العوائق القطرية أمام الوحدة والتقدم العربية. فالهوية الوطنية القطرية التي تناضل ضد التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية الخارجية، وتسعى إلى تحقيق تنمية مستقلة مستدامة، وتحارب التخلف والجهل والأمراض والبطالة، وتسعى إلى إقامة دولة ديمقراطية خالية من الفساد، هي هوية قومية حتى لو لم ترفع شعارات قومية. فهي تقرب بني الشعوب العربية حتى لو لم تعلن أن الوحدة ضمن أهدافها؛ لأن العوائق أمام الوحدة وبناء الهوية القومية هي التبعية القطرية وإفرازاتها المختلفة من جهل وأمية وفساد وتخلف واستبداد.

6- الهويات القطرية الانعزالية/الانفصالية خطر على الهوية القومية: الهويات الوطنية القطرية التابعة والمشوهة هي التي تحاول تخليد القطرية لأنها لمصلحة الاستعمار الذي أسسها، ولمصلحة الرأسمالية التابعة التي خلقها الاستعمار وساهم في بلورتها وتطورها ودعم سيطرتها على السلطة في الأقطار العربية ليتمكن من إبقاء هيمنته بعد سيطرته على هذه الأقطار. لذلك، نجد هذه الهويات تبحث عن سند تاريخي لها يفصلها عن الأقطار العربية الأخرى من خلال فواصل تاريخية. فالفرعونية والفينيقية والكنعانية والبابلية وغيرها، جذور لها وجود في تاريخ الأقطار العربية، لكن الثابت أنه حدث قطع بنيوي كامل بين هذا التاريخ والتطور العربي منذ قيام الدولة العربية الإسلامية. فلا لغة هذا السند التاريخي ولا

¹ فيصل دراج: قضايا فلسطينية السياسة والثقافة والهوية. المجلس الأعلى للتربية والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية 2008، ص40.

ثقافته ولا قيمه لها علاقة بجماهير هذه الأقطار، ويكاد يكون تأثيرها منحصرًا في وجود آثار معمارية قديمة.

7- الهويات ما دون الوطنية(الجزئية) خطر على الهوية الوطنية: يحد من دور وتأثير الهويات الوطنية والقومية ويضعفها وهي هويات ذات بعد جزئي كالأثنية والطائفية والقبلية، فهي تعيق وحدة الأمة أو الشعب، وتخلق، في الغالب، حالات من الانقسام تؤثر على القدرة الكلية للأمم والشعوب، وقد تسبب هزيمتها وتدعم تخلفها وعجزها. فالانتماء القبلي، وكل أشكال الهويات "قبل الوطنية" تضعف الهوية الوطنية، وتضعف شعور الأفراد وشعور الجماعات بالمصلحة العامة، وتقوي الشعور بالمصالح الفردية وتكبح التغيير الاجتماعي والعمل على إصلاح اجتماعي وسياسي شاملين. وخير مثال على ذلك ما حدث ويحدث في السودان مؤخراً وأفريقيا عموماً. أما الهويات الطائفية فتأثيرها بنفس الإتجاه وربما أعمق؛ لأن الطوائف مرتبطة في العادة بوشاح أيديولوجي، يصعب كسره والتغلب على آثاره الانقسامية في الواقع الوطني والقومي وهو أصعب من تأثير القبيلة الناجم عن التخلف الاجتماعي الاقتصادي. الانقسام الطائفي في لبنان، ولاحقاً في العراق، خير مثال على الآثار السلبية التي يتركها التأثير الطائفي على الهويات الوطنية. كما أن الهويات الأثنية، إذا أسيء استعمالها قد تخلق شرخاً في هويات العديد من الأقطار، ففي الوطن العربي أقليات يمكن؛ بل يتوجب، استيعابها على أساس حقوقها المعترف بها دولياً، مثل الأقليات الكردية في سوريا والعراق، والأقليات الأمازيغية في دول المغرب العربي.

8- فشل الهويات المتجاوزة للوطنية: هنالك أيضاً هويات ذات بعد عولمي، وهي تتجاوز عادة الخصائص الوطنية والقومية المشكلة لهوية ما وتركز على علاقة "ما بعد الوطنية". وهي لا تأخذ، عادة، بعين الإعتبار الواقع المحلي، ولا التفاوت في التطور بين القوميات المختلفة. هذه التوجهات بغض النظر عن أيديولوجيتها لا تأخذ، في العادة، بعين الاعتبار خصائص الواقع ومتطلبات النضال أو التغيير فيه، ولا تركز على الخاصية البرنامجية للواقع الخاص الملموس. ومن أبرز هذه التوجهات: الإسلامية التي تؤمن بالأمة الإسلامية، وتتخطى نزعة

التطور إلى أمم وهي نزعة سائدة في العصر الحديث، والأممية الشيوعية التي فشلت في الكثير من دول العالم الثالث لأنها لم تتبن الرؤية ولا البرامج ذات البعد الوطني والقومي؛ حيث وحدة الشعب وقوى الأمة الوطنية أساسية لمواجهة خطر خارجي، لذلك فشلت في عدة تجارب عالمية مختلفة. وهنا قد يبدو ضرورياً أن نشير إلى أن بعض التوجهات الإسلامية والشيوعية أخذت بعين الاعتبار في فكرها السياسي وبرامجها مسألة الهوية الوطنية والقومية، ولم تعد تشكل ممارساتها خلافاً في النضال الوطني والقومي.

9- نزع وطنية الهوية بالتغريب/الاغتراب: " العولمة"، وهي غير العالمية؛ أي الانفتاح على الثقافات الأخرى، مع الاحتفاظ بالاختلاف الثقافي والاختلاف الأيديولوجي، نفيًا للآخر، وإحلالاً للاختراق الثقافي محل الصراع الأيديولوجي فهي أداة للهيمنة، وبالتالي قمع وإقصاء للخصوصي، لاحتواء العالم.¹

تستنتج الباحثة أن الهوية تتشكل نتيجة عناصر متعددة وهذه العناصر تتشأ بفعل تجارب وخبرات وتحديات، ورغم أن العرب لم يجتمعوا ضمن إطار سياسي واحد، إلا أن القومية العربي قد جاءت حصيلة إحساس جماعي حقيقي بالهوية، حيث ما يميز عناصر التنوع والتجانس في الهوية العربية هو الانتماء العربي، الثقافة المشتركة، واللغة العربية الأم، والتاريخ الطويل المشترك، فلسطين التاريخية جزء لا يتجزأ من الوطن العربي، إلا أن تتابع الحروب والنكبات التي مر بها الشعب الفلسطيني منح الحالة الفلسطينية بعداً آخر تخطت فيه العناصر المشتركة من دين ولغة وعادات وثقافة وتاريخ وجغرافيا مشتركة، إلى خصوصية هذه الحالة المرتبطة بالمقاومة والصراع مع العدو.

¹ عبد الفتاح القلقيلي وأحمد أبو غوش: الهوية الوطنية الفلسطينية: خصوصية التشكل والإطار الناظم، مرجع سابق،

الفصل الثالث

الهوية الوطنية الفلسطينية، العناصر ومراحل التكوين

الفصل الثالث

الهوية الوطنية الفلسطينية، العناصر ومراحل التكوين

إن كل مجموعة إنسانية يوجد بين أفرادها صفات مشتركة تميزهم عن غيرهم من المجتمعات وتشكل لديهم هويتهم وشخصيتهم الخاصة، وبالنسبة لأفراد الشعب الفلسطيني فإنهم ينتمون إلى الأمة العربية ويشتركون معها بالدين واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد، " وأن الصفة الوحيدة التي جمعت بينهم وميزتهم عن غيرهم من العرب كانت جغرافية تنبع من كونهم سكنوا المنطقة الجغرافية التي وضعت حدودها من قبل الحلفاء عند نهاية الحرب العالمية الأولى، كما وضعت حدود الأقطار العربية الأخرى، وتعتبر هذه الصفة الجغرافية المشتركة هي أول حدود الهوية الفلسطينية".¹

وتمثل الهوية في تعبيرها البسيط مجموع السمات المميزة لشعب من الشعوب، متمثلة في اللغة والعادات والتقاليد والثقافة والمواقف المشتركة بصدد القضايا المصيرية، وهنا تجدر الإشارة إلى أن قيمة أي هوية تكمن فيما يمكن أن تخلقه من شعور بالخصوصية، وفيما يمكن أن تقدمه من فرص للتطور لمنتسبي هذه الهوية، وبدون ذلك قد تكون الهوية عبئاً على منتسبيها، وقد تكون عاراً أو دلالة على نقص مخجل ومخل، وغالباً ما ترتبط الهوية في هذا المستوى بالوعي بالذات، لكنها في أحيان أخرى قد ترتبط باستحضار الآخر باعتباره نقيضاً لنا أو للذات، وهو ما ينطبق على تجربة تشكل الهوية الوطنية الفلسطينية بالأساس، إذ بالرغم من وجود الشعب الفلسطيني على أرض فلسطين التاريخية بحدودها (الانتدابية)، على الأقل منذ خمسة آلاف سنة، فإن حديثه عن هويته الوطنية لم يتبلور إلا بفعل صدمة قاسية جسدها المشروع الإستعماري الغربي، فمواجهة مخططات الإستعمار والإحتلال الأجنبي التي أخذت في البداية شكل إنتداب بريطاني قبل أن تنتهي مشروعاً صهيونياً قائماً على أساس اجتثاث الشعب

¹ شريف كناعنة: الهوية الوطنية الفلسطينية إلى أين، مركز الدراسات التراث والمجتمع الفلسطيني، جمعية إنعاش الأسرة البيرة.

من أرضه وإحلاله جماعات من " المستوطنين" تم غرسهم في هذه الأرض بقوة الحديد والنار بعد جلبهم من مناطق العالم الأربع، اقتضت تأكيد الذات في خضم مواجهة الآخر.¹

1.3 بدايات تشكل الهوية الوطنية الفلسطينية

لا يوجد اتفاق بين الباحثين والمؤرخين حول مقدمات وعوامل تكون الهوية الفلسطينية، فمنهم من يُصر على أن الهوية الفلسطينية قديمة، ويسقطها بأثر رجعي على التاريخ القديم للجماعة الفلسطينية على أرض فلسطين منذ أقدم العصور، ولكن أغلب الباحثين والمؤرخين يتفقون على أن مقدمات تكوين الهوية الفلسطينية المعاصرة التي شهدتها الدولة العثمانية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، والتهديد الإستعماري الغربي وتقسيم البلدان العربية، الذي أدى إلى انفجار أكبر أزمة هوية عرفتها البلدان العربية بعد انهيار الدولة العثمانية.²

2.3 مقومات الهوية

تقوم الهوية الوطنية على عدة مقومات أهمها التراث، والتاريخ، والثقافة، واللغة، والتجارب، وهموم الشعب وطموحاته، إلا أن هناك مستوى عاماً من التهديد تواجهه الهوية، ليس فقط في فلسطين، بل في العالم كله وهو العولمة من نواحي الثقافة التي يتم بثها عبر الفضائيات، والجانب الثاني من التهديد الذي تواجهه الهوية الفلسطينية هو اسرائيل التي عملت على تغيير الواقع واستطاعت تحطيم دور الزراعة والاقتصاد الفلسطيني برموزه الفلاحية والارتباط بالأرض.³

في الحالة الفلسطينية كانت الهوية ولم تنزل محل سجل من حيث آليات تكونها ونمطها وأشكال التعبير عنها، كما أوضح أباهر السقا وذلك للأسباب الآتية:

¹ فيصل دراج: قضايا فلسطينية، السياسة والثقافة والهوية، المجلس الأعلى للتربية والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية بيروت، 2008، ص 17-18.

² عبد الفتاح القاقلي وأحمد أبو غوش، الهوية الوطنية الفلسطينية خصوصية التشكل والإطار الناظم، مرجع سابق، ص20.

³ حليلة أبو هنية، مراحل تشكل وعي الهوية عند الفلسطينيين، مركز الأبحاث الفلسطيني، ورقة بحثية منشورة، عن مقابلة خاصة أجرتها للبحث مع صالح عبد الجواد، بيرزيت 7-5-2008، <https://bit.ly/2X8J9hC>

أولاً: بسبب خطى التكوين التاريخي المرتبط بولادة القوميات في المشرق العربي في مرحلة الإستعمار والانعقاد منه فيما بعد.

ثانياً: تأثرها بآليات نقل الدولة - الأمة (Etat- nation) / (state- nation) ؛ وتشكل الدولة الحديثة والتي تم تعميمها على الكرة الأرضية وتجذير تعميمها بدءاً من عام 1945 كأنموذج دولاتي للأشكال السياسية في العالم.

ثالثاً: لأن الوطنية الفلسطينية هي نتاج لعملية تاريخية مرتبطة بالسياق الفلسطيني من صعود الوطنيات/ القوميات مابعد الخلافة العثمانية؛ مروراً بالإستعمار البريطاني (الانتداب) وصعود القومية العربية والتي جاءت كمحاكاة للوطنية التركية والتي هي بدورها أيضاً كمحاكاة لحركات" الفتاة الإيطالية " و" الألمانية" و " الأوروبية الأخرى".

رابعاً: التصارع مع المشروع الإستيطاني الصهيوني/ الإستعماري والذي سرّع بتنمية الشعور بالوطنية¹

بينما رأى رشيد الخالدي، ومع تتبعه لسير الأحداث التاريخية المرتبطة بفلسطين، سواء بفترة الحكم العثماني أو حتى بعد انهيار الحكم العثماني واستعمار البلاد العربية وتقسيمها إلى دول، وكذلك فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى وما بعدها وصولاً للنكبة الفلسطينية، وجود الانتداب البريطاني ومن ثم الإحتلال الإسرائيلي مروراً باتفاقية أوسلو، فيؤكد بأن الهوية الفلسطينية هي في حالة تشكل وتطور دائم عبر التاريخ، وتأثرت بالعديد من الأحداث التاريخية والتطورات السياسية والثقافية المحيطة بها، أي أنها لم تأت نتيجة فعل أو رد فعل على حدث تاريخي معين مثل الإحتلال والذي شكل عامل تهديد للهوية الفلسطينية.²

¹ أباهر السقا: الهويات الشبابية الفلسطينية: تراتبات متغيرة من تجمعات مغيرة لكل متجانس، الشباب الفلسطيني: دراسات عن الهوية والمكان والمشاركة المجتمعية، (ورقة مفاهيمية مرجعية) مركز دراسات التنمية، جامعة بيرزيت، 2017، ص 17.

² رشيد الخالدي: الهوية الفلسطينية، بناء وعي قومي حديث، جامعة كولومبيا، نيويورك، 1997.

أمّا عناصر ومكونات الهوية الوطنية كما ذكر أباهر السقا فقد تأسس بناء على " الذاكرة الجماعية باعتبارها صانعة للهوية مع المحددات الأخرى، أي القواسم المشتركة كاللغة والعادات والتقاليد والتاريخ والأرض والثقافة ووحدة المصير من زاوية، وعلى الاختلاف بين جماعات اجتماعية على قاعدة إعلان ذاتي للأفراد المكونين لهذه الهوية وانتمائهم من زاوية أخرى.¹

تُعرّف الباحثة الهوية الوطنية الفلسطينية بأنها مجموعة من السمات والخصائص التي يتميز بها الفلسطيني وهي ما يحمله الفلسطيني من لغة وثقافة ووعي جماعي وموروث شعبي وعادات وتقاليد وكيف يعرف عن ذاته ومن أين أتى؟ خاصة في ظل المراحل المختلفة التي مرت بها الحالة الفلسطينية وبالرغم من وجود عوامل داخلية وخارجية أثرت في تشكل وتطور وتبلور وانكماش وتفكك هذه الهوية أحياناً كحدث النكبة المفصلي الذي يعتبر محورياً أساسياً في نشوء الهوية الوطنية الفلسطينية وتحول معظم أبناء الشعب الفلسطيني إلى لاجئين.

3.3 مراحل تطور الهوية الوطنية الفلسطينية

لم تبرز الهوية الوطنية الفلسطينية بشكل مستقل في بدايات العمل الفلسطيني في معركته الوطنية وحتى النكبة الفلسطينية الأولى، حيث كان هناك دمج وتناغم بين الديني والوطني. وكان الواقع الفلسطيني يختلف عن الواقع في البلاد العربية الأخرى من حيث غياب مشروع الدولة القطرية المستقلة، وانشغال الفلسطينيين بمقاومة الانتداب البريطاني والهجرة اليهودية.²

لقد امتزج العمل الديني والوطني في فلسطين مع نهايات الدولة العثمانية، مروراً بالانتداب البريطاني؛ وانقسم علماء فلسطين بين مؤيد للحركة العربية، أمثال الشيخ سعيد الكرمي، وبين مناصر للحكومة العثمانية، أمثال الشيخ يوسف النبهاني، ومنيب الجعفري، وقد شهدت هذه الفترة صدور وعد بلفور 1917، وسقوط الخلافة العثمانية سنة 1924، وقد اتسمت

¹ أباهر السقا: الهوية الاجتماعية الفلسطينية: تماثلاتها المتشظية وتداخلاتها المتعددة، في: التجمعات الفلسطينية وتمثالاتها، المؤتمر السنوي الثاني لمركز مسارات، رام الله: مركز مسارات، 2013.

² ناظم عبد المطلب عمر: الفكر السياسي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وانعكاساته على التنمية السياسية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2008، ص 27.

هذه الفترة بالصراع بين الحسينية والنشاشيبيية على قيادة البلاد، وشهدت ظهور المجلس الإسلامي الأعلى الإسلامية/المسيحية المتحدة وطنياً، لتعبر عن وعي وطني مبكر داخل الحركة الوطنية الفلسطينية، وقد نشطت هذه الجمعيات في توحيد العمل الفلسطيني ضد الانتداب البريطاني والهجرة اليهودية لفلسطين.¹

لم يكن تطور الهوية الوطنية الفلسطينية حدثاً فجائياً، وإنما كانت العملية تدريجية تمت على عدة مراحل، وكانت أحياناً تتوقف عند محطة معينة لفترة ما، حتى تبلورت بالشكل الذي هي عليه الآن، وقد كان للأزمات والنكبات التي مرّ بها الشعب الفلسطيني على مدى الأزمان أثر كبير في تشكل هذه الهوية، وبخاصة الأزمات المعاصرة في القرن العشرين.²

ويرى بعض المؤرخين أن الهوية الفلسطينية بدأت بالتشكل منذ زمن الكنعانيين، إلا أن البعض الآخر يرى أن الوعي للهوية عند الفلسطينيين قد تطور في بدايات القرن العشرين مع ظهور الصهيونية التي أصبحت تهدد الكيان والوجود الفلسطيني على أرضه، وبخاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وأقول الدولة العثمانية، والذي نتج عنه تقسيم الدول العربية ومن ضمنها فلسطين وإخضاعها للاستعمار الغربي، أي بعد العام 1917.³

يؤكد أشرف أبو ندا أن الهوية الوطنية الفلسطينية تطورت بوصفها حالة صيرورة دائمة التحول، خاصة في مواجهة المشروع الإستعماري/البريطاني الصهيوني، وهي المواجهة التي عبرت عن ذاتها في انتفاضات وثورات شعبية فلسطينية من بداية عشرينات إلى نهاية ثلاثينات القرن الماضي، وصولاً إلى "النكبة" الأولى سنة 1948، حيث تطورت الهوية الفلسطينية بشكل متفاوت نتيجة تشظي الأرض والمجتمع، فكان تطورها أسرع في ظل الدول التي اتبعت سياسات إقصائية تهميشيه بحق الفلسطينيين كما حصل في لبنان وغزة/الإدارة المصرية، في حين تأخر

¹ المرجع السابق، ص28.

² حليلة أبو هنية، مراحل تشكل وعي الهوية عند الفلسطينيين، مركز الأبحاث الفلسطينية PRC، ورقة بحثية، نسخة إلكترونية، <https://bit.ly/2NJkYU6>

³ المرجع السابق.

تطور الهوية الوطنية عند الفلسطينيين في الدول التي اتبعت معهم السياسات الاندماجية والتجنسيه كما حصل في الضفة الغربية والأردن وفلسطين المحتلة عام 1948.¹

ويشير أبو ندا أن صعود الهوية الوطنية الفلسطينية وصل نضوجه الفعلي في منتصف ستينات القرن الماضي، وذلك بفعل عاملين أساسيين هما انطلاق الثورة الفلسطينية وهزيمة المشروع القومي عام 67، فيما شكّلت إعادة التواصل الإجتماعي بين الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة وفلسطين المحتلة عام 48، بعد هزيمة 67 عاملاً هاماً في تطور الهوية الوطنية الفلسطينية وتعزيزها.²

وترى الباحثة أن نشوء الهوية الوطنية الفلسطينية المعاصرة ارتبط بشكل أساسي بالصراع مع الاستعمار الاستيطاني رغم أنه لم يكن وليد لحظتها، بل استمراراً لتاريخ طويل للشعب العربي الفلسطيني في أرض فلسطين وقد شكّل المشروع الصهيوني بالذات عامل تحفيز للكشف عنها وإظهار معالم هذه الهوية الوطنية الفلسطينية والتي بدأ تاريخها منذ أزمان طويلة يعود إلى جذور كنعانية لكن عام 1948، مثل تغيراً في المشهد الفلسطيني ونكبة أدت إلى تدمير بنية المجتمع الفلسطيني، فالصراع تحول إلى صراع وجود وإثبات ارتباط الهوية الوطنية الفلسطينية بحالة الصراع والكفاح المستمر.

وفيما يلي تستعرض الباحثة أهم المحطات التاريخية المؤثرة في الهوية الوطنية الفلسطينية:

1.3.3 الثورة الفلسطينية الكبرى 1936

هي الثورة الفلسطينية الكبرى التي انطلقت في 20 نيسان 1936 وامتدت حتى عام 1939، و تتميز عن الثورات التي قامت مابين 1920 و 1933، إذ أن جميع ما عرف بالثورات الفلسطينية قبل ثورة 1936 لم يكن أكثر من هبات أو انتفاضات، أما ثورة 1936 فقد توافرت

¹ أشرف أبو ندا: *الهوية الفلسطينية المتخيلة بين التطور والتأزم*، مجلة المستقبل العربي، عدد 423، أيار 2014، ص 87.

² المرجع السابق، ص 89.

لها شروط الثورة هدفاً وأداة وأسلوباً، وهي تمثل محطة بارزة في حركة النضال الوطني الفلسطيني ضد الصهيونية والاستعمار البريطاني منذ أواخر القرن التاسع عشر، فهي نقلة نوعية في توجهات هذا النضال بعد حالة الوهن العام التي اعتزلت الحركة الوطنية الفلسطينية في أعقاب هبة البراق عام 1929.¹

وقد بدأت ثورة 1936 بطريقة شبه عفوية ما لبث أن استقطبت الشعب على نحو غير مسبوق، على أهداف وقف الهجرة اليهودية، ومنع بيع الأراضي واغتيال باعة الأرض والسماحة والجواسيس والتصدي لمشروع التقسيم الذي كانت بريطانيا تمهد لتنفيذه، وصيانة عروبة فلسطين والحفاظ على أراضيها ومنع تهويدها، وإعلان استقلالها في وحدة عربية شاملة. لجأت الثورة إلى الكفاح المسلح أسلوباً، لانتراع حقوقها من الاستعمار البريطاني، ولم تتوقف إلا عند اندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939، لأسباب ذاتية، وأسباب تتعلق بالتدخل العربي الرسمي لإنهاء الإضراب، والتحالف الفرنسي البريطاني عشية عام 1939.

2.3.3 عوامل اندلاع ثورة 1936

اضطرت القيادة الفلسطينية إلى اللجوء إلى الثورة كخيار وحيد للشعب نتيجة تطورات الأحداث بعد هبة البراق 1929، وكانت هذه التطورات والأحداث تشكل خطراً كبيراً على الوجود العربي في فلسطين سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. ومن هذه التطورات ما يأتي:

1- القيادة والمؤسسات التقليدية التي أدت إلى ضعف الحركة الوطنية لفلسطينية، وخصوصاً بعد وفاة رئيس اللجنة التنفيذية موسى كاظم الحسيني وحل اللجنة والشروع في تجربة "القيادة من خلال الأحزاب" التي كانت مظهراً جديداً للعشائرية والإقطاعية السياسية، وقد ساعدت في ذلك سياسة المنسوب السامي البريطاني الجديد واهوب.

2- ثورة الشيخ عز الدين القسام 1935: تجسد فيها الإيمان بعدم جدوى العمل السياسي وأن العمل المسلح هو السبيل الوحيد لبلوغ الأهداف الوطنية، وقد أيقظت هذه الثورة الشعب الفلسطيني وأشعلت في نفسه الحماسة للجهاد

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية. البيرة فلسطين، 2008. ص 158.

3- التحركات الوطنية والقومية العربية: تمثلت في حصول العراق على شبه استقلال بمعاهدة عام 1930 التي ألغت الانتداب، واضطرابات مصر المطالبة بإعادة الدستور عام 1923، وإضراب سوريا في 1936 بهدف إلغاء الانتداب.

4- الأعداد المتزايدة في الهجرة اليهودية: حيث وصلت عشية ثورة ال36 إلى نحو 40 ألف مهاجر، واستمرار الهجرة السرية إلى فلسطين مع تغاضي الحكومة البريطانية عنها والتستر عليها وحمايتها، ورفض مجلس العموم البريطاني مطلب العرب بوقف الهجرة اليهودية في آذار (مارس) 1936.

5- استيلاء الصهاينة على الأراضي الفلسطينية وسن الأنظمة والقوانين من قبل الحكومة البريطانية لتسهيل عملية الاستيلاء على الأراضي وتهجير الفلاحين وتحولهم إلى عمال يعانون من البطالة. حيث ازدادت الطبقة العمالية بمن تحول إليها من الفلاحين الذين جردوا من أراضيهم ولم يجدوا عملاً، فانتشرت البطالة، وضاعف من حدتها "مبدأ العمل العبري" و"امتلاك العمل" الذي أخذ به الصهاينة، وتفضيل السلطات البريطانية لتلزم العمل إلى مقاولين صهاينة حتى في بعض المناطق العربية، وتدني أجور العمال العرب في مقابل العمال الصهاينة في المهنة الواحدة، وارتفاع الضرائب على ملكية الأراضي من 9% إلى 15%، أما الفلاح فقد كان يدفع 25% من صافي دخله ضرائب في السنوات العجاف.

6- نمو الوضع العسكري للصهاينة: حيث تمت إعادة تنظيم "الهاغاناه" بعد هبة البراق، من حيث العدد وتوسيع المهمات، والعدوان من قبل المستوطنين على المدن والقرى المجاورة واقتراف أعمال إرهابية إجرامية ضد العرب، وتصنيع السلاح واستيراده بكميات وفيرة بشكل سري وتوزيعه على المدن والمستعمرات الصهيونية.¹

3.3.3 الإضراب العام وإعلان ثورة 1936

في هذه الأجواء المشحونة بالتوتر، حدثت الشرارة التي أشعلت الثورة. فقد قتلت مجموعة مسلحة في 15 نيسان (أبريل) 1936 بالقرب من عنتابا بين طولكرم ونابلس يهوديين

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق ص 158.

وجرحت ثالثاً، كانوا في طريقهم إلى "تل أبيب" وفي اليوم التالي قتل عربيان على أيدي "الهاغاناه" في بيارة بالقرب من يافا، واشتد التوتر في منطقة يافا- تل أبيب، فوَقعت صدمات عنيفة بين العرب واليهود خصوصاً في الأحياء المختلطة، وأحرقت عشرات البيوت والحوانيت، وقتل يهودي وجرح نحو خمسين. بعد ثلاثة أيام من الصدمات سيطرت الحكومة البريطانية على الوضع وفرضت حظر التجول على المدينتين وجوارهما وأعلنت حالة الطوارئ في البلاد، وأعلنت يافا الإضراب العام وتبعته مدن وقرى فلسطين وبادر زعماء المدن والقرى على اختلاف مشاربهم وفئاتهم إلى إنشاء اللجان القومية وضمت هذه اللجان ممثلين عن جميع الأحزاب والطوائف والفئات. وتستننتج الباحثة أن هذا دليل على الشعور القومي عند الفلسطينيين.

وفي 25 نيسان (ابريل) - وكان الإضراب العام ما زال قائماً - عقدت اللجان القومية مؤتمراً عاماً لها في القدس، وقرر هذا المؤتمر تشكيل قيادة مركزية للحركة الوطنية مقرها القدس، فتألفت "اللجنة العربية العليا لفلسطين" برئاسة أمين الحسيني وعضوية ممثلي الأحزاب الفلسطينية جميعها، وممثلين عن المستقلين، واتخذت "اللجنة العربية العليا" القرار التالي وأعلنته على الشعب: "دعوة الشعب العربي الفلسطيني إلى مواصلة الإضراب العام حتى تبدل الحكومة البريطانية سياستها وتغير مواقفها، وأن تكون البادرة الأولى لهذا التبديل وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ولقد كان متفقاً أن يتأخر إعلان الثورة المسلحة بعض الوقت وأن تركز الجهود على الإضراب واستمراره. وهنا أيضاً تلاحظ الباحثة عمق الانتماء القومي لدى الفلسطينيين في ذلك الوقت فاللجان قومية والحركة وطنية.

رفضت بريطانيا على الرغم من اشتداد الإضراب طلب العرب بوقف الهجرة اليهودية كما أعلنته اللجنة العربية العليا لفلسطين، وقامت بتحديهم بإصدار شهادة هجرة جديدة قدمتها للوكالة اليهودية لإحضار أعداد كبيرة من المهاجرين إلى فلسطين.

ورداً على هذا التحدي قرر القادة الفلسطينيون إعلان الثورة المسلحة، وتنفيذاً لهذا القرار أعلن "جيش الجهاد المقدس" الثورة المسلحة على الأعداء (مكون من جميع التشكيلات والمنظمات العسكرية السرية ومن انضم إليها فيما بعد، وقد اختير لقيادته عبد القادر الحسيني)

وشرع المجاهدون يهاجمون ثكنات الجيش والشرطة والمستعمرات اليهودية، ويدمرون طرق المواصلات ويهاجمون قوافل الأعداء وتجمعاتهم. اقتصر أعمال الثورة في أيامها الأربعة الأولى على لواء القدس وحده لكنها ما لبثت في اليوم الخامس أن عمت أنحاء فلسطين في المدن والقرى والبادية.

بدأت العمليات في البداية في المدن وانتشرت فيها، حيث انتشرت في يافا، ونابلس، والقدس، وطبريا وحيفا وصفد، فاستفزت قوات الاحتلال في المدن التي أصبحت في اشتباك دائم مع الخلايا المقاتلة وركزت نشاطها في نابلس والقدس ويافا حيث كانت الخلايا الثورية نشطة فحشدت لهم قوات كبيرة من الجيش نتيجة لذلك تحول الثوار إلى الريف وانضموا إلى الجماعات الثورية التي كانت تعمل هناك، ولم تكن هذه المجموعات موحدة وكان منها تنظيم القسام مثل فرحان السعدي الذي عمل في منطقة جنين وألقي القبض عليه في قرية نورس وتم إعدامه وهو في الخامسة والسبعين من العمر عام 1937، وعشرات من المجموعات الأخرى المحلية، التي عملت على تشكيل مجموعة مسلحة في كل قرية ومدينة.¹

طراً تطور في الميدان بدخول فوزي القاوقجي وقواته إلى منطقة المثلث وتدفق المتطوعون من الأردن وسوريا ولبنان، وانضموا إلى الجهاد المقدس ونتيجة لذلك تحولت الثورة في شهرها الثالث إلى معارك مكشوفة مع القوات البريطانية في شتى أنحاء فلسطين.

استهدفت المقاومة حركة النقل العامة والمواصلات السلكية وسدت الطرق ونسفت الجسور وخطوط السكك الحديدية، وكذلك خط النفط الواصل بين العراق وحيفا وأخذت المجموعات السرية داخل المدن تغتال الموظفين البريطانيين وضباط الجيش والشرطة والجواسيس وباعة الأراضي والسماسرة وتلقي المتفجرات على الدوائر الحكومية وحقق الثوار انتصارات في العديد من المعارك وأصبحت هذه الهجمات ظاهرة مألوفة في "مثلث الرعب" كما سماه الجنود البريطانيون إشارة إلى المنطقة الواقعة بين نابلس وجنين وطولكرم، كما وقعت

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية. مرجع سابق، ص 159.

معارك كبيرة في مرج ابن عامر ووادي عزون وبابا الواد، سقط فيها العديد من الشهداء والجنود البريطانيين.

أثبتت الثورة أنها عصية على السحق العسكري وأظهرت القدرة على القتال وكانت أعمال العنف والقمع تعزز روح المقاومة وتزيد في أعداد المنتسبين إليها، في المقابل اتخذت حكومة الانتداب تدابير عسكرية لقمع الثورة وفرضت الغرامات المادية الثقيلة والعقوبات الجماعية وعقوبات الإعدام واعتقلت الكثيرين وقامت بتخريب الممتلكات ونسف البيوت وهدم الحي القديم في مدينة يافا.. الخ. ومع كل ذلك لم تستطع أن تخدم الثورة الشعبية.

4.3.3 وقف الإضراب

ولما شعرت بريطانيا بعجزها عن وقف الثورة وإنهاء الإضراب بالطرق العسكرية لجأت إلى أساليب غاية في المراوغة فأعلنت أنها قررت إيفاد لجنة ملكية للتحقيق في قضية فلسطين وشكاوى الناس، ووضع التوصيات لحل القضية حلاً عادلاً. وقد سطت بريطانيا بعض الحكام العرب لإقناع الفلسطينيين بوقف الثورة، وقد حضر بعضهم إلى فلسطين ليجدوا إصراراً عظيماً على الاستمرار في الثورة حتى تتحقق مطالبهم.

وكان من أبرزهم نور السعيد من العراق وكذلك الأمير عبد الله والأمير سعود، وتجددت الاتصالات بين القيادات العربية والقيادات العليا ولكن دون جدوى، في نهاية المطاف استحضرت بريطانيا قوات إضافية لسحق المقاومة حيث بلغ عدد القوات البريطانية في النصف الأول من شهر آب أغسطس 1936 في فلسطين 70 ألف جندي، بالإضافة إلى نحو أربعين ألفاً من قوات الشرطة النظامية والإضافية وقوة حدود شرق الأردن وحرس المستعمرات اليهودية وقوات "الهاغاناه" والمنظمات السرية الإرهابية الصهيونية.

ومع ذلك فشلت هذه الجهود وذهبت أدراج الرياح وظلت الثورة مشتتة طوال شهري آب وأيلول 1936، دون مهادنة أو ضعف. لكن بعد اتصالات ومشاورات أجراها الملوك والرؤساء العرب بطلب من بريطانيا للتدخل لإنهاء الإضراب، وجهوا رسالة إلى رئيس اللجنة

العربية العليا لفلسطين لفك الإضراب وإنهاء المقاومة، ونزل الفلسطينيون عند نداءات الزعماء العرب فأوقفوا الإضراب والثورة في 13/10/1936 وكانت ذريعة القيادة الفلسطينية للقبول بفك الإضراب هي موسم قطاف الزيتون.¹

أن هذه الثورة المهمة قد أنها كشفت القيادات المحلية والعربية التي تدخلت في قضية فلسطين بشكل أسهم في إجهاض الثورة إضافة إلى كشفها الحلف الامبريالي- الصهيوني في المنطقة وقدمت نموذجاً من أجل التحرر والدفاع عن الوطن والحفاظ على فلسطين عربية.²

على الرغم من أن المؤامرة على فلسطين كانت أكبر بكثير من إمكانات الشعب الفلسطيني؛ إلا أن شعب فلسطين رفض الاحتلال البريطاني والمشروع الصهيوني، وطالب بالاستقلال. وقامت التيارات الوطنية والإسلامية بزعامة موسى كاظم والحاج أمين الحسيني ورفاقهم بالتعبئة الشعبية والتحركات السياسية والثورات العارمة، فكانت ثورات القدس 1920، ويافا 1921، والبراق 1929، وتشرين الأول / أكتوبر 1933، وحركة الجهادية بقيادة الشيخ عز الدين القسام، ومنظمة الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني. وتحت ضغط الثورة الكبرى 1936-1939 اضطرت بريطانيا في كتابها الأبيض (أيار-مايو 1939) أن تتعهد بقيام الدولة الفلسطينية خلال عشر سنوات، وأن توقف بيع الأرض لليهود إلا في حدود ضيقة، وبأن توقف الهجرة اليهودية بعد خمس سنوات. ولكنها تنكرت لالتزاماتها في تشرين الثاني/ نوفمبر 1945 (تصريح بيفن)، وعادت الحياة للمشروع الصهيوني من جديد برعاية أمريكية.³

ويرى غسان كنفاني أن الأسباب الحقيقية للثورة، في الواقع، هي وصول حدة التناقض في عملية انتقال المجتمع الفلسطيني من الاقتصاد الزراعي - الإقطاعي-الإكليركي، العربي إلى الاقتصاد الصناعي البورجوازي اليهودي الغربي إلى ذروتها، كما رأينا في الصفحات السابقة، أن عملية تعميق حالة الاستعمار وتجذيرها، ونقلها من حالة الانتداب البريطاني إلى حالة

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، 159.

² المرجع السابق، ص 160.

³ محسن محمد صالح: حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية، مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات، بيروت، لبنان

2010، ص 16.

الاستعمار الإسكاني الصهيوني، وصلت إلى ذروتها، في منتصف الثلاثينات والواقع أن قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية قد أرغمت على تبني شكل الكفاح المسلح لأنه لم يعد بوسعها أن تظل متربعة على سدة هذه القيادة في وقت وصل فيه التناقض إلى شكل صدامي حاسم. وقد لعبت عوامل متناقضة ومختلفة في دفع القيادة الفلسطينية آنذاك إلى تبني شكل الكفاح المسلح: أولاً: حركة عز الدين القسام. ثانياً: سلسلة الإخفاقات التي منيت بها هذه القيادة طيلة فترة تكلسها فوق رأس الحركة الجماهيرية.¹

ولما أدرك البريطانيون أن الثورة في جوهرها ومادتها وقياداتها المحلية ثورة فلاحية، عمدت إلى أن تمايز في تعاملها مع المدنيين أدت الروح الثورية المهيمنة في فلسطين بأجمعها إلى تعميم لباس الرأس الفلاحي (الكوفية والعقال) في المدن، كي لا يخضع الريفي النازل إلى المدينة لعسف السلطة، وبعد ذلك منع الجميع من حمل هوياتهم الشخصية كي لا تكتشف السلطة الفلاح من المدني (نسبة إلى المدينة)، إن هذا الواقع يشير إلى طبيعة الثورة وإلى نفوذها في تلك المرحلة إشارة واضحة للغاية، كان الريف بصورة عامة هو رحم الثورة، وكانت عمليات احتلال المدن المؤقتة في 1938 أضر هجمات يشنها الفلاحون من الخارج، وهذا يعني أن الفلاحين والقرويين بصورة عامة هم الذين كانوا يدفعون الثمن الأكبر. ففي عام 1938، أعدم عدد من الفلاحين لمجرد حيازتهم على أسلحة، وأن استعراضاً سريعاً لجدول أسماء أولئك الذين أرسلوا إلى السجن أو إلى المشنقة ترينا أن الغالبية الساحقة كانوا من فقراء الفلاحين.²

يبرز تحليل غسان كنفاني، بما احتواه من إضاءات اجتماعية واقتصادية باعتباره الأدر على الامساك باللحظة التاريخية التي سبقت اندلاع الثورة. ولقد دعم هذا التحليل مساهمات لاحقة لباحثين كثيرين أكدوا، في ظل طرد شرائح واسعة من الفلاحين من أراضيهم ولجوئهم

¹ غسان كنفاني، ثورة 36-39 في فلسطين خلفيات وتفصيل وتحليل، نسخة إلكترونية، <https://bit.ly/2QdF4HJ>، ص

22.

² المرجع السابق، ص 31-32.

إلى حيفا وبيافا، على مركزية العامل الاقتصادي في نشأة الهبة الشعبية التي سرعان ما تحولت إلى ثورة وطنية.¹

بينما يرى محمود عمر أن فلسطين كانت حالة نادرة ينشأ فيها بسرعة مهولة، وماهية سرطانية، مجتمع صناعي رأسمالي يهودي على تخوم مجتمع فلسطيني زراعي في سواده الأعظم. ولما كان الاستعمار البريطاني قد فضل التحالف مع الحركة الصهيونية، وغابت البرجوازية الوطنية الفلسطينية التي أعيقت عمليات تشكلها بفعل نمو الماكينة الصهيونية، فإن القيادة العربية الإقطاعية اضطرت تحت وقع احساسها بالغبن إلى أداء دورٍ ثوريٍّ تمثّل في التحريض على العصيان المدني والإضرابات بغية الحصول على موقع أفضل تحت سقف انتداب الحليفة بريطانيا ردّ تقرير «لجنة بيل الملكية» التي تشكلت بعد اندلاع الثورة أشهر أسباب اندلاعها إلى رغبة العرب الفلسطينيين في نيل الاستقلال، وقد ثبتت الصبغة القومية للثورة حقيقة أنها كانت في معظمها، ثورة فلاحين جانبت الحركات النقابية العربية المتضائلة النفوذ، بالإضافة إلى رفض الشعب العربي الفلسطيني إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.²

وفيما يخص بلورة الهوية الوطنية في المرحلة الأولى، فيرى أسامة يوسف أن تدشين الاستيطان الاحلالي والاستيلاء على الأرض الفلسطينية على أرضية وعد (إعلان) بلفور المشؤوم والانتداب البريطاني لفلسطين بعد هزيمة الدولة العثمانية بعد عام 1918 ميلادية، كانت البدايات الأولى لبلورة الهوية الوطنية الفلسطينية، فالاستيطان الصهيوني أوجد إحساساً عاماً بتهديد وجودي للكينونة الفلسطينية، وللأماكن المقدسة التي هي جزء من الهوية الإسلامية ليس للفلسطينيين بل للمسلمين جميعاً في العالم، وهو ما دفع الشعب الفلسطيني إلى الانتفاض عفويّاً كما في ثورة البراق عام 1929م، أو في سياق أكثر تنظيماً كما في ثورة عام 1936، والتي

¹ محمود عمر: ثورة 1936 عندما حاربنا الإمبراطورية العظمى، موقع فلسطين، تشرين الأول 2014، <https://bit.ly/2Ke3ay2>.

² المرجع السابق.

شاركت فيها قطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني لثلاث سنوات متتابعة، بمحصلة آلاف من الشهداء والجرحى وأضعاف ذلك من المعتقلين.¹

بينما يشير عصام نصار إلا أن التصادم الفلسطيني مع المشروع الصهيوني ابتدأ في الأرياف، وليس في المدن، وهو ما أنتج أحد أهم مكونات الهوية الفلسطينية لاحقاً وإحدى إشكالياتها في الوقت نفسه فالهوية التي بدأت معالمها في التشكل آنذاك ستحمل سمات الحركة الفلاحية أساساً، على الرغم من ولائها السياسي والديني للقدس، أي المدينة.

ويكمل نصار أن هذه الميزة الفلاحية ستبقى جزءاً من تمثيل الفلسطينيين لذاتهم عبر تبني رموز فلاحية لاحقاً؛ مثل الدبكة والملابس الفلاحية والكوفية. وفي الوقت ذاته، ستكون لتغيّب المدينة عن أداء الدور الأكبر في صياغة الوعي المحلي أبعاد ليست بسيطة؛ بشأن عدم تعميم الوعي وبقائه منافساً لعدد آخر من التصورات القومية. وعلى الرغم من ذلك، لم تجد الأسبقية الفلاحية في الإحساس بالتمايز والخصوصية تعبيراتها السياسية في الريف، إلى حد ما، أثناء مرحلة الانتداب البريطاني، بل في المدينة، ولا سيما عبر المقالات المختلفة التي بدأت تظهر في الصحف المحلية، وفي الخطاب السياسي والحزب الصاعد، حيث شنت الصحف الفلسطينية المختلفة؛ مثل الكرمل، وفلسطين، والمنادي - دون استثناءات - الحملة تلو الأخرى على الحركة الصهيونية ومشروعها في فلسطين، مطالبة ببقاء فلسطين لأهلها واستقلالها السياسي.²

وهو ما أكده المؤرخ تيد سوندرغ أن الثورة الفلسطينية الكبرى 1936 ضد الإنجليز والتي بدورها خلقت "حركة فلاحية حقيقية توحى بالخاصية الانتقالية للهوية الفلسطينية وللتنظيم السياسي" حيث كانت حركة مقاومة معبأة بمزيج من الأفكار العشائرية القديمة والأفكار

¹¹ أسامة يوسف: الهوية الوطنية تراكمات التاريخ والاستعمار، موقع العربي الجديد الإلكتروني، ملحق فلسطين، 21-5-

2017، نسخة إلكترونية، <https://bit.ly/33LNb20>

² عصام نصار: التاريخ والقومية: إشكالية كتابة تاريخ للهوية الفلسطينية، سطور، العدد 6، صادرة عن المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسة، بيروت، لبنان تموز / يوليو 2017، ص 294.

الحزبية وأيضاً بواسطة المصلحين الإسلاميين أمثال الشيخ عز الدين القسام وجمعية الشبان المسلمين.¹

ويؤكد معز كراجه أن ما قبل النكبة كانت الهوية العائليّة والحماةليّة، إلى جانب الهوية الطبقيّة المتمنّلة في ثنائيّة "فلاح/ إقطاعي" و"قرية/ مدينة"، هي الأبرز، وكانت تستمدّ حضورها وقوتها من ملكيّة "الأرض". ومن الطبيعيّ أن تتراجع تلك الأشكال من الهوية تراجعاً كبيراً بعد ضياع الأرض والدخول في محنة اللجوء. وقد بدأ هذا التبلور الوطنيّ قبل التهجير في العام 1948، ومثلّت ثورة 1936 أبرز محطاته: فهذه كانت ثورة فلاحين مطرودين من الأراضي التي كانوا يعملون فيها، فإذا بهم يجدون أنفسهم عمالاً على هوامش مدينتي حيفا ويافا. خلال هذه الثورة بدأ الخوف الجماعيّ من المستقبل يظهر أكثر فأكثر، فساد نوعٌ من الانسجام الاجتماعيّ، أسهم بدوره في تقدّم الشعور الوطنيّ على غيره من الانتماءات ما دون الوطنيّة.²

تشير الباحثة إلى أنه وبالرغم من اختلال موازين القوى وإفشال الثورة من خلال العقاب الجماعي والتفتيش وحملات الاعتقالات والاعتقالات إلا أن الثورة الفلسطينية الكبرى والممتدة من نيسان 1936 إلى 1939 تمثل محطة بارزة في النضال الفلسطيني ضد الصهيونية والاستعمار البريطاني حيث تُعد أطول ثورة شعبية مسلحة تمتد لثلاث سنوات خاضها الفلسطينيون بهدف نيل استقلالهم ومناهضة إنشاء وطن قومي لليهود على أرض بلادهم فكانت بذلك التعبير الأقوى عن الهوية والكيانية الفلسطينية فقد ازداد وعي الفلسطيني في المدينة والريف بقوميته العربية وبكيانه الفلسطيني وبأهمية أرضه.

4.3 النكبة الفلسطينية عام 1948

(النكبة مصطلح يعني لغوياً "المصيبة أو الكارثة"، أما في الوضع الفلسطيني فقد عبرت عن هول الصدمة من الهزيمة العربية أمام العصابات الصهيونية عام 1948 وما تبعها من وقائع

¹ تيد سودنبرغ: دور الفلاحين الفلسطينيين في الثورة الفلسطينية الكبرى، الإسلام والسياسة والحركات الاجتماعية. مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص 299-300.

² معز كراجه: الهوية الفلسطينية: من التبلور إلى خطر التشظي، مقال إلكتروني، شبكة نوى الإخبارية، <https://bit.ly/2KeLX7R>، 5 مايو 2016..

حددت مصير الشعب الفلسطيني، وأدت إلى انهيار واضح وتفكك في تركيبته الاجتماعية وفقدانه الهوية الخاصة، وذلك من خلال تهجير ما يقارب المليون لاجئ إلى الدول العربية والضفة الغربية وقطاع غزة، وتدمير 418 قرية فلسطينية وما رافقه من ارتكاب للمجازر الوحشية وعمليات القتل والترهيب من قبل العصابات الصهيونية).¹

فالنكبة في معناها البسيط والمباشر هي الاقتلاع والطرده ومن ثم الإحلال، وهي جريمة إنسانية بكامل المعاني والمعايير، ولإنها حدثت في التاريخ، أي يمكن رصدها وتوثيقها، ولإنها حدثت دون ضجيج، وتم استيعابها واعتبارها جزءاً من العقيدة الاستعمارية، فالنكبة بهذا المعنى، تحولت إلى قضية إنسانية وفُرِّغَت من معانيها الكارثية والأخلاقية، فأضحت في عرف المستعمر - على أنواعه - مشكلة جياح وعراة.

وقد برزت كلمة النكبة كرديف لضخامة تداعيات هزيمة حرب 48، وانتشرت كرمز ودلالة في الأدبيات والإعلام، باصطلاح أطلقه المؤرخ الفلسطيني قسطنطين زريق في كتاب أصدره بعد أربعة شهور من الهزيمة، بعنوان "معنى النكبة"، تحدث في مضمونه عن الحرب وآثارها المدمرة على المجتمع الفلسطيني والشعوب العربية.²

والنكبة - كمصطلح - لم تختص فقط بالوضع الفلسطيني عام 1948، إذ استخدم المصطلح تاريخياً إبان حكم العباسيين ومنع البرامكة بالقتل والتشريد من السيطرة على بعض مقاليد الحكم، حيث ذكر التاريخ ما تسمى "نكبة البرامكة"، وكذلك الأمر أيام حكم محمد علي باشا وقتله لمجموعة من المماليك فيما عرف بـ "نكبة المماليك"، كما أن النكبة تشابه في معناها الدرامي مرادفات تاريخية عديدة.

5.3 النكبة والتحويلات الاجتماعية

مع توالي السنوات على النكبة ووقوف المجتمع الدولي عاجزاً عن إعادة اللاجئين الفلسطينيين لديارهم، ومواصلة تشردهم وإنكار حقوقهم، شهد مفهوم النكبة تحولاً على المستوى

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص 606.

² المرجع السابق، ص 606.

الاجتماعي، حيث يقول الدكتور المتوكل طه: " تحولت النكبة من الحديث عن جماعة ذات حقوق لايمكن الانتقاص منها إلى الحديث عن حقوق يمكن تنفيذ الممكن منها، وهذا " الممكن" عادة ما يضيق ويقل مع الزمن".¹

والنكبة الفلسطينية في جوهرها إشارة لسرعة انهيار المجتمع الفلسطيني تحت ضربات الهجوم العسكري الصهيوني ونزوح الشعب وتشتته في العالم العربي وسقوط المقاومة، في الوقت الذي رافق ضخامة الحدث غياب أدنى التوقعات العربية عن الهزيمة وما بعدها وقدرات الجيش والعصابات الصهيونية الأقل عدداً والأكثر تنظيماً وقوة، والصدمة من إدراك عجز الدول العربية على التصدي للهجوم، واستبعاد انسحاب قوات الانتداب من فلسطين بهذه السرعة وهذا التواطؤ.

وبذلك حملت النكبة معنى التطور الطبيعي للشعب الفلسطيني ومن ثم تشويبه وتشريده، وتحويله من شعب مستقل وحر، إلى شعب من الملاحقين والجياع والمشبوبهين في منافهم القريبة والبعيدة، فتحول في معظمه إلى أفراد بلا هويات وبلا روابط ليصبحوا فجأة لاجئين وعليهم أن يطوروا مجتمعاً آخر في الهواء، وبين الفراغات، وبين الأسيجة وتحت الخيام وفي الإزدحام، ومن ثم في مدن الأحزمة الفقيرة. ولايمكن تطوير أو تطور مجتمع تحت الحصار وتحت الملاحقة وتحت الشبهة ودائرتها، فالنكبة فرضت على الشعب الفلسطيني أن يبدأ من الصفر، وأن يعيد تشكيل ذاته في أماكن متعددة.²

وإن دلّ جانب من النكبة على اللوم واليأس من الجيوش العربية وكل ماهو عربي، إلا أنها لا ترمز للهزيمة العربية فقط، لأن التاريخ يعج بالهزائم وسقوط الإمارات والدول العظمى، بل يرتكز مصطلح النكبة في أبعاده على الإنهيار الاجتماعي، وتشرذم الشرائح الاجتماعية المهمة ما قبل النكبة، من أصحاب الأراضي والبيارات والعقارات والأماك والعائلات الاقتصادية والضالعين في الأجهزة الإدارية أيام الإنتداب، الذين إما هُجّروا من الساحل للداخل

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق. ص 606

² المرجع السابق، ص 606.

أو إلى الدول العربية خارج فلسطين، ما أدى إلى تفكك نسيج المجتمع وتلاشي القوى المدافعة عنه ولو أنها لم تكن ذات صفة نظامية، إضافة إلى هجرة الكثير من الكفاءات النوعية إلى الدول العربية وتحديداً دول الخليج والأردن.

6.3 الأبعاد السياسية للنكبة

ومن الآثار التي أعقبت النكبة على الصعيد السياسي ونتيجةً لفرصها وقائع حدودية على الأرض، ضفة غربية تابعة للحكم الأردني، وقطاعاً غزياً تابعاً للإدارة العسكرية المصرية، وهما معزولان تماماً عن بقية الأراضي الفلسطينية، حتى تم احتلالهما مابعد هزيمة حزيران عام 1967، وصدر قرار 242 الأممي الذي يعبر في مضمونه عن أرض لدولتين، بحيث أصبحت الضفة وغزة السقف الجغرافي للمفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية.

ومع إنشاء الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين ضارباً بعرض الحائط مأساة النكبة، فُرضت وقائع جديدة على الأرض خلّفت وراءها كوارث عديدة ملموسة أهمها: لجوء الشعب الفلسطيني إلى الدول العربية، وتحوله من شعب كان يقيم على أرضه إلى لاجئ وقد ارتبط مفهوم النكبة سياسياً بدرجة كبيرة بالنضال وحركة التحرر الوطني، والمسؤولية التي يتحملها أبناء الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال وطرده وإعادة الأمور إلى نصابها.¹

يرى جميل هلال أن النكبة أدت إلى تلاشي الحقل السياسي الفلسطيني الذي نشأ قبل عام 1948، وتمثل هذا التلاشي باختفاء الحركة الوطنية الفلسطينية بنخبها وأحزابها وتنظيماتها، بفعل اختفاء الأساس الاقتصادي والمكانة الاجتماعية والسلطة السياسية للأعيان وملاك الأرض الكبار، أي للنخبة التي هيمنت على الحقل السياسي الوطني.²

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص 606-607.
² جميل هلال: تكوين النخب الفلسطينية منذ نشوء الحركة الوطنية الفلسطينية إلى مابعد قيام السلطة الوطنية، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، مركز الأردن الجديد للدراسات، سلسلة دراسات وأبحاث، 2002، ص

وفي مقالة له يعلق أسامة يوسف عن الهوية الفلسطينية وتراكمات التاريخ والإستعمار وتحديداً حول المرحلة الأولى بلورة الهوية الوطنية والنكبة قائلاً: حدثت النكبة بقيام دولة "إسرائيل" وتشريد أكثر من 700 ألف فلسطيني، أوجد الشتات الفلسطيني مع الآلام والمعاناة والتشرد بعداً أحر للهوية الوطنية، هوية اللاجئ الفلسطيني الذي تقطعت به السبل وفقد أملاكه ومصدر رزقه وأرضه التي اقتلع منها، ولم يجد أمامه سوى الاستثمار في العلم والإنتاج المعرفي ليكونا لبنات أساسية في المساهمة النهضوية لكثير من البلدان العربية، خصوصاً الخليجية منها مع الإحساس العميق الذي يربطه بأرضه وشعبه والولاء لقضيته.¹

فيرى كايد عزت شريم أن فترة أربعينيات القرن الماضي شهدت أوج تمثّلات القضية الفلسطينية، خاصة فيما يتعلق بالوعي الجمعي الذي يتعمق أكثر فأكثر كلما لامس الخطر الصهيوني أكثر فأكثر، متجسداً في التأكيد على استقلال فلسطين وبناء دولة ديموقراطية واحدة. وبالتعبيرات السياسية الكيانية التمثيلية كاللجنة العربية العليا والأحزاب السياسية والاتحادات النقابية والمؤسسات الاجتماعية، والتعبيرات الثقافية كالمجلات والمطبوعات والصحف. إلا أن حدث "النكبة" عام 48 كان حدثاً تأسيسياً في صيرورة الهوية الوطنية الفلسطينية في مواجهة الهوية الصهيونية النقيضة، وفي الوعي بهذه الهوية والتفاعل معها.

ويشكّل حدث "النكبة" العلامة الفارقة في الوعي الجمعي الفلسطيني في لحظة "صدمة" تاريخية لا زالت مفاعيلها صاحبة التأثير الأكبر في مشهد الاشتباك الفلسطيني الصهيوني، حيث تشظت الأرض وتوزّع الشعب بما يكتفانه من تعبيرات مادية للهوية الوطنية، وبقيت الحكاية الجامعة لتؤسس فيما بعد تعبيرات الهوية الوطنية الكفاحية وشبه الكيانية، في الشتات ابتداءً، ثم في الوطن الفلسطيني المُحتل لاحقاً.²

¹ أسامة يوسف: الهوية الوطنية الفلسطينية تراكمات التاريخ والإستعمار، موقع العربي الجديد، 21-7-2017، <https://bit.ly/2qKhqrw>.

² كايد عزت شريم: *الهوية الوطنية الفلسطينية: جدل الواقع ومآزق الخطاب مقارنة نقدية تحليلية*، مجلة جامعة الإستقلال للأبحاث، عدد خاص بأبحاث: مؤتمر الهوية حاضر ومستقبل، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا جامعة الإستقلال، أريحا، فلسطين. تشرين أول 2017.

لقد قلبت أحداث نكبة العام 1948 النظام الفلسطيني سياسياً واجتماعياً لتبدأ مرحلة جديدة في تشكل مجتمع جديد قائم على اللجوء بالأساس. فالنسيج الفلسطيني الناتج عن النكبة، نجده كالتالي: اللاجئين في الشتات في الدول العربية المجاورة في الأردن وسوريا ولبنان، وفلسطينيو الضفة الغربية وقطاع غزة فيما يسمى بأراضي العام 1967، وفلسطينيو الخط الأخضر أو ما يدعون بـ"عرب 48". هذا التقسيم عمل على إيجاد بعض الفروقات الثقافية والاجتماعية والسياسية بين الفلسطينيين، إلا أنه لم يستطع أن يلغي الوجود الفلسطيني. وقد اعتبرت النكبة انطلاقة جديدة دفعت بالكثير من الفلسطينيين للانخراط في العمل التنظيمي السري السياسي والعسكري وبادر الفلسطينيون إلى تنظيم الصفوف وتأسيس الخلايا الصغيرة مثل كتائب الفداء العربي في العام 1949 بقيادة جورج حبش، ووديع حداد وهاني الهندي وجهاد ضاحي، وتشكيل الإتحادات كاتحاد طلبة فلسطين في دمشق عام 1948.¹

وبعد النكبة لم يعد للهوية ولا للكيانية أي تعبيرات في الحياة الاجتماعية والسياسية للفلسطينيين باستثناء (الحياة الثقافية)، إذ تعرّض "فلسطينيو 48" مثلاً، لمحاولات "الأسرلة" الأمر الذي اضطرهم إلى التحايل على الواقع الناشئ، وعلى الانهيار المفاجئ في عالمهم، بحمل الهوية الإسرائيلية، للبقاء في أرضهم، مع ما يتطلبه ذلك من كبت نوازع الهوية الفلسطينية الناشئة، مع إبراز تمسكهم بالهوية العربية. أما فلسطينيو الضفة الغربية والأردن (وهم الأغلبية) فباتوا مواطنين ضمن المملكة الأردنية، مع كل ما في ذلك من تبعات واستحقاقات وقد نتج من ذلك كله، اختزال الفلسطينيين في اللاجئين الذين باتوا يقطنون بلاد اللجوء والشتات، تماماً كما اختُصرت قضية فلسطين في قضية اللاجئين. والمشكلة أن هؤلاء اللاجئين لم يتح لهم في تلك البلاد، التعبير عن هويتهم، بشكل قانوني وحقوق، ولا بشكل تمثيلي / مؤسسي، كما لم يتح لهم التعبير عن قضيتهم بشكل سياسي، وهو ما تم التعويض عنه بانخراط هؤلاء في إطار الحركات السياسية فوق الوطنية، أي القومية والإسلامية والشيعية ويستنتج من ذلك كله أن الهوية

¹ حليلة أبو هنية: مراحل تشكل وعي الهوية عند الفلسطينيين، مرجع سابق.

الوطنية والكيانية السياسية عند الفلسطينيين برزت وتبلورت في أوضاع صعبة جداً، وقسرية ومعقدة، وفي إطار من القيودات والتشوهات.¹

بعد "نكبة" 1948 بقي في الجزء من فلسطين الذي أُقيمت إسرائيل عليه نحو سدس سكانه العرب فقط، وحيث أن كل النخب الاجتماعية (السياسية، والاقتصادية، والتعليمية، والدينية) التي كانت متمركزة في المدن قد نزحت خلال الحرب فقد بقي العرب في إسرائيل من دون قيادة قطرية، باستثناء قيادة الحزب الشيوعي الإسرائيلي، بالإضافة إلى غياب قيادة موحدة لمختلف التجمعات الفلسطينية في الخارج، بعد سنة 1948. وهكذا وجد العرب في إسرائيل أنفسهم "بين عشية وضحاها" أقلية ضعيفة، غريبة في وطنها ومعزولة عن بقية شعبها وأمتها.²

وفي هذا السياق، وتحت هذه الظلال، وفي أجواء ذلك الغموض في الهوية والكيان، تركزت تطلعات الفلسطينيين (اللاجئين خاصة) على هدف مركزي هو "العودة" دون أن ترتبط هذه العودة بتصور كياني محدد، ومع ذلك حافظ الفلسطينيون خارج الأردن على وعيهم بفلسطينيتهم دون أن يبلوروا ذلك في تعبيرات سياسية ومؤسسات ملموسة، حتى أواخر خمسينات القرن العشرين رغم ضبابية الهوية والكيان، وهذا الركاب فوقهما، فإن وعي الفلسطينيين لفلسطينيتهم لم يمت وقد ساعد على بقاء هذا الوعي حياً ثلاثة مكونات:

المكون الأول: التمييز وسوء المعاملة التي لقيها الفلسطينيون في الأقطار العربية، حتى في الأردن، حيث كان الفلسطينيون هم أقل إخوانهم الفلسطينيين الآخرين في الأقطار العربية الأخرى عرضة للتمييز. فقد كانوا، من الناحية القانونية، أردنيين لهم كل الحقوق القانونية في التملك والاستثمار والتوظيف في كل أجهزة السلطة، فمنهم الوزراء ورؤساء الوزارات، ولكنهم

¹ ماجد كيالي: صعود وأفول الهوية الوطنية والكيانية السياسية للفلسطينيين، مجلة الدراسات الفلسطينية، ربيع 2012. نسخة إلكترونية منشورة، <https://bit.ly/2rEi1LT>.

² محمود معاري: هوية الفلسطينيين داخل إسرائيل: هل هي فلسطينية -إسرائيلية؟، مجلة الدراسات الفلسطينية المجلد

3، العدد 10، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان بيروت. ربيع 1992، ص 40.

عمليا كانوا أردنيين من الدرجة الثانية يعانون من التمييز في التوظيف في كل المجالات وخاصة في الجيش، وكانت مناطقهم تعاني أيضا من التمييز في التنمية.

لكن التمييز ضد الفلسطينيين في الأردن لم يدفعهم باتجاه البحث عن مدلولات سياسية فلسطينية رغم احساسهم بفلسطينيتهم، بل اندفعوا الى الحركات السياسية المعارضة للنظام والتي كانت تعمل في النطاق الأردني.

المكون الثاني: بقاء وتنامي وعي الفلسطينيين بفلسطينيتهم عبر انتشار الوعي العام بين الفلسطينيين، فالفلسطينيون الذين فقدوا مواردهم الاقتصادية الزراعية والصناعية، لم يبق أمامهم إلا العلم لكسب العيش. وبانتشار التعليم بني الفلسطينيين، انفتحت أمامهم آفاق العمل في الدول العربية وخاصة دول الخليج حديثة التكوين. وهناك، ومن خلال العمل وانفتاح آفاقهم والتقاء الفلسطينيين من مناطق شتاتهم معا في مؤسسة واحدة، تعزز وعيهم بفلسطينيتهم رغم اختلاف البيئات التي يعيشون فيها.

المكون الثالث: مواجهة الاحتلال، حيث أن احتلال إسرائيل لقطاع غزة في تشرين أول عام 1956، أنعش وعي الفلسطينيين بفلسطينيتهم. فعندما اقتضت الضرورة العسكرية سحب الجيش المصري من سيناء وقطاع غزة، وجد الفلسطينيون أنفسهم أمام عدوهم التاريخي وجها لوجه، يتعرضون للقتل والتدمير والانتقام الجماعي. واكتشف الفلسطينيون دورهم الخاص في المواجهة المباشرة مع المحتلين.¹

انسحبت إسرائيل من قطاع غزة في السنة التالية (1957) ورغم أن انسحابها لم يكن بفعل المقاومة الفلسطينية لها، إلا انه بسقوط غزة في يد الاحتلال الإسرائيلي ومقاومة هذا الاحتلال بدأت مرحلة جديدة، وجد الشعب الفلسطيني نفسه فيها وجها لوجه أمام مسؤولياته وأمام قسوة المواجهة.

¹ عبد الفتاح القفيلي: الهوية جذور ومسار، أوراق فلسطينية 8، مؤسسة ياسر عرفات، 20-11-2016، نسخة إلكترونية منشورة، <https://bit.ly/2XdiNen>. ص49.

ويرى عبد الفتاح القلقلي أن السنوات الأولى التي تلت انسحاب إسرائيل من غزة شهدت الإرهاصات الجدية الأولى للكيانية الفلسطينية، واستعادة الهوية الفلسطينية، حيث ظهر عدد من الظواهر للهوية والكيانية الفلسطينية التي عبرت عن نفسها عبر مؤسسات مختلفة، بعضها استمر وبعضها الآخر عجز عن الاستمرار، وأصبح جزءاً من التاريخ. ومن أهم تلك المؤسسات التي ظهرت قبل قيام منظمة التحرير الفلسطينية، خمس مؤسسات، وهي:

- 1- الاتحاد القومي العربي الفلسطيني في غزة عام 1958.
- 2- حركة الأرض التي تشكلت في الأراضي المحتلة في نيسان عام 1959.
- 3- فوج التحرير الفلسطيني، تشكل بتعاون الحاج أمين الحسيني مع عبد الكريم قاسم في العراق في حزيران 1959.
- 4- الاتحاد العام لطلبة فلسطين، الذي تأسس في القاهرة أواخر عام 1959.
- 5- حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، التي بدأت تصدر مجلتها "فلسطيننا" عام 1959.

ويعقب القلقلي بقوله وإذا كانت الهوية الوطنية لمعظم الشعوب تبلورت على شكل دول مثل ما هو عليه الحال في الدول القومية الحديثة فإن نظريتها الفلسطينية تبلورت على شكل مقاومة مناضلة لإثبات الوجود في مواجهة إرادة الاجتثاث والنفى، مما يجعل منها هوية نضالية في جوهرها.¹

تري الباحثة أن النكبة الفلسطينية عام 1948 حدث مفصلي في حياة الشعب الفلسطيني الذي كان يعيش مستقراً في قراه ومدنه. مئات الآلاف من الفلسطينيين هجروا وشردوا وطردهوا من ديارهم بقوة السلاح وتحت تهديد العصابات الصهيونية لإنشاء وطن قومي لهم على أنقاض المدن والقرى الفلسطينية التي نزع أغلب ساكنيها إلى مدن عربية لم تُرحب بهم، لقد حولت النكبة التاريخ العربي والفلسطيني عن مساره وتمثلت النكبة نقطة البداية في الصراع الفلسطيني

¹ عبد الفتاح القلقلي: الهوية جذور ومسار، مرجع سابق، ص51.

والعربي الإسرائيلي، بذلك أدت النكبة إلى تدمير بنية المجتمع الفلسطيني وتمزيقه وتشتيته جغرافياً وتاريخياً فالظروف القسرية من اقتلاع للفلسطينيين وتهجير وترهيب وتحول نصف أبناء الشعب الفلسطيني للاجئين حُفاة جائعين وعراة وقد أدت كل هذه الظروف إلى انكسار في الهوية الوطنية الفلسطينية والشعور بحالة من الضياع والشتات والتشظي.

7.3 تأسيس حركة فتح 1959

تعود جذور نشأة حركة "فتح" إلى أواخر العام 1957، حيث تم عقد لقاء ضم ستة أشخاص هم: ياسر عرفات، و خليل الوزير وعادل عبد الكريم، وعبد الله الدنان، ويوسف عميرة، وتوفيق شديد، واعتبر هذا اللقاء بمثابة اللقاء التأسيسي الأول لحركة "فتح"، وصاغ المؤسسون ما سمي "هيكل البناء الثوري" و"بيان حركتنا"، وتبع ذلك انضمام أعضاء جدد منذ العام 1959 كان أبرزهم: صلاح خلف، وخالد الحسن، وعبد الفتاح حمود، وكمال عدوان، ومحمد يوسف النجار، وكمال عدوان، وعبد الفتاح إسماعيل، ومحمود عباس.¹

في العام 1959 ظهرت "فتح" من خلال منبرها الإعلامي الأول مجلة "فلسطيننا - نداء الحياة"، التي صدرت في بيروت منذ شهر تشرين ثاني/ نوفمبر، والتي أدارها توفيق خوري، وقامت مجلة "فلسطيننا" بمهمة التعريف بالحركة ونشر فكرها ما بين 1959 - 1964 واستقطبت من خلالها العديد من المجموعات التنظيمية الثورية الأخرى، فانضم للحركة خلال تلك الفترة كل من: ماجد أبو شرار، وأحمد قريع، وفاروق قدومي، وصخر حبش، ويحيى عاشور، وزكريا عبد الحميد، وسميح أبو كويك، وعباس زكي، وغيرهم الكثير إلى صفوف هذه الحركة الناشئة.

قررت قيادة "فتح" الموسعة بدء الكفاح المسلح في 1964/12/31 باسم قوات "العاصفة" بالعملية الشهيرة، التي تم فيها تفجير شبكة مياه إسرائيلية تحت اسم عملية "نفق عيلبون"، ثم تواصلت عمليات حركة "فتح" وأخذت تتصاعد منذ العام 1965 مسببةً انزعاجاً شديداً للجيش

¹ حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح: موقع منظمة التحرير الفلسطينية الرسمي، <https://bit.ly/33LO4Yo>

الإسرائيلي. وصدر البيان السياسي الأول في 1965/1/28 مبيناً أن المخططات السياسية والعسكرية لحركة "فتح" لا تتعارض مع المخططات الرسمية الفلسطينية والعربية، وأكدت الحركة لاحقاً على ضرورة التعبئة العسكرية، وأعلنت عن انطلاقها في الأول من كانون ثاني/يناير من العام 1965، كيوم لتفجر الثورة الفلسطينية المعاصرة.

وقد شكل انطلاق حركة فتح بالكفاح المسلح، في يناير 1965، ولادة حقيقية لحركة المقاومة الفلسطينية المعاصرة بعد النكبة، لتعيد معه "فتح" الاعتبار لهوية الشعب الفلسطيني وشخصيته الوطنية، وتلفت كل الأنظار إلى القضية الفلسطينية وعدالتها ومكانتها بين حركات التحرر في أرجاء العالم.¹

طرحَت التنظيمات السياسية ما قبل انطلاقة فتح عام 1965 رؤيتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية مرتبطة بأيدولوجية محددة ضمن الأيدولوجيات الثلاث التي كانت سائدة آنذاك، واستمرت لفترة طويلة بعد ذلك وهي (الاشتراكية، القومية، الاسلامية)، وعندما كانت فتح تتبلور كفكرة وتنظيم منذ الخمسينات أخرجت المفاهيم الأيدولوجية بما فيها الرؤية الاجتماعية والاقتصادية من فكر فتح وركزت على المفهوم السياسي والوطني وهذا ما نراه بوضوح في أول وثيقة حركية هي (هيكل البناء الثوري) ثم في أدبيات فتح وخاصة كتيب حركة فتح والوضع الاجتماعي.²

إن مبادرة مبادرة فتح لم تكن هي الوحيدة على الصعيد الفلسطيني ففي وقت يكاد يكون متزامناً تقريباً انطلقت دعوة شبيهة داخل صفوف الفلسطينيين العرب في اسرائيل، حيث تم تشكيل تنظيم "الأرض" وهو تنظيم قومي - وطني لعب دوراً في بذر نواة الفكر السياسي بين عرب الأرض المحتلة عام 1948 وباتجاه اعتبار أنفسهم أقلية "قومية" وبالعودة الى إقامة دولة عربية فلسطينية. وقد رمز اسم التنظيم "الأرض" الى تأكيد البعد الوطني المتمسك بالأرض، كما

¹ حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح: موقع منظمة التحرير الفلسطينية الرسمي، مرجع سابق.

² إبراهيم المسارعي: الهوية الوطنية الاجتماعية لحركة فتح، مقال إلكتروني، موقع حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح إقليم جمهورية مصر العربية- مكتب الإعلام، 23-9-2018، <https://bit.ly/2CzYbn8>.

نص البيان الذي أصدرته الحركة في نيسان 1958 على: "نحن الجناح القومي في الجبهة الشعبية الديمقراطية* نعلم أننا جزء من الشعب الفلسطيني الذي هو جزء من الأمة العربية ... ونطالب قادة اسرائيل ... أن يعترفوا بحق تقرير المصير للشعب العربي الفلسطيني وقد رفضت اسرائيل إجازة الحركة.¹

تشير الباحثة إلى أن حركة الأرض تزامنت في النشأة مع مبادرة حركة فتح إلا أن حركة الأرض كانت أول حركة سياسية قومية عربية تتأسس في الأراضي المحتلة عام 1948 وقد كانت أول تعبير عن الهوية القومية العربية، بالرغم من عزل فلسطيني الأراضي المحتلة عام 1948 عن محيطهم العربي والفلسطيني، فكانت أول حركة تنشأ وتمثل وتعبر عن الداخل المحتل وذات بعد قومي مقارنة بالمنظمة وحركة فتح التي خرجت من عمق الشتات الفلسطيني وكانت ذات بعد وطني.

وقد تبنت حركة فتح فكراً نشطاً مرحاباً متطوراً مازجاً بين: الوطنية (كمحبة وتخصيص وتكرس وتركيز وألوية وإبداع) والكيانية (في كيان نضالي ثوري يمثل الوحدة الوطنية الجامعة ويبرز الشخصية العربية الفلسطينية) والاستقلالية (للإرادة الحرة) والتشاركية (بالديمقراطية والمدنية والتواصل والتداول) والعقلانية (والمدينة والاعتدال والوسطية واحترام الآخر) في إطار الحضارة العربية الإسلامية الرحبة، والإنسانية التقدمية، فهي بذلك قد اختطت لنفسها طريقاً عملياً تستطيع بها أن تجمع الكل الفلسطيني، والكل المناضل العربي والإسلامي والمسيحي، والحر العالمي نحو قضيته بعيداً عن التنظيرات الفارغة ومفاهيم الاستعلاء والإقصاء للآخر.²

ولأن في الوطنية الفلسطينية مُتسعاً للجميع فإن حركة فتح عند ظهورها منتصف الستينيات كتجسيد للهوية الوطنية لم تطلب من أحد أن يتخلى عن أيديولوجيته إن أراد أن ينتمي لحركة فتح لأنها حركة تُعبر وتُجسد الهوية الوطنية، والهوية الوطنية تعددية ومنفتحة وتستوعب الجميع وفلسطين تحتاج لجهود الجميع ولكن على قاعدة توطين الأيديولوجيات، بمعنى أن تصبح

¹ سلافة حجاوي: الهوية الفلسطينية داخل الدولة اليهودية، دراسة في الأدب، <https://bit.ly/2CEcxmy>.

² إبراهيم المسارعي: الهوية الوطنية الاجتماعية لحركة فتح، مرجع سابق.

الأيديولوجيات جزءاً من الهوية الوطنية وليس أن يتم إحقاق الوطنية بهذه الأيديولوجية أو تلك، بل إن كثيرين أصبحوا فتحاويين بدون بطاقة عضوية لأن الفتحاوية كانت وما زالت تعني الانتماء للوطنية الفلسطينية وللمشروع الوطني الفلسطيني. تماهت حركة فتح مع الهوية والثقافة والشخصية الوطنية ومع المقاومة والتحرر والاستقلال، حتى باتت فتح تعني فلسطين وفلسطين تعني فتح وهو الأمر الذي انعكس بالتأييد العام الذي حظيت به الحركة ليس فقط فلسطينياً بل عربياً ودولياً، وحتى عندما ظهرت فصائل فلسطينية يسارية وقومية وحاولت توطئتين أيديولوجياتها لم تتمكن من الحلول محل فتح في التعبير عن الوطنية الفلسطينية، إلا أن وجودها مع حركة فتح في إطار منظمة التحرير الفلسطينية أضفى عليها وعلى المنظمة طابعاً وطنياً حررها من الوصاية العربية بداية ويحميها اليوم من محاولات جرّها لتبعية الأجندة الخارجية.¹

وترجع الباحثة نشوء حركة فتح إلى عوامل داخلية وخارجية، أبرزها النكبة وما تركته من آثار على الشعب الفلسطيني وتشتت الأحزاب السياسية وغياب العمل الوطني الجامع والتأمر الدولي والتخلي العربي عن القضية الفلسطينية كل هذه العوامل كانت سبباً في نشوء حركة فتح التي ساهمت في نضوج الهوية الوطنية الفلسطينية لاسيما أنها كانت أول حركة وطنية سياسية شعبية تمثل الفلسطيني في مختلف توجهاته وانتمائيه وأماكن تواجده وقبل أن تعلن الحركة انطلاقها في العمل المسلح من خلال إطلاق الرصاصة الأولى في يناير 1965، كانت قد مهدت لأفكارها من خلال منبرها الإعلامي مجلة "فلسطيننا" عام 1959، ف فقد قدمت الحركة نفسها كحركة ثورية مرتكزة على العمل المسلح كخيار وحيد للتحرير، حيث كانت ذات رؤية وهدف واضح نادى إلى استقلالية القرار الفلسطيني من خلال رفعها شعار "لا وصاية ولا تبعية ولا احتواء" بذلك أكدت على خصوصية فلسطين والقضية الفلسطينية في ظل ضبابية المشهد السياسي الذي عانت منه منظمة التحرير الفلسطينية بعد فترة وجيزة من وجودها، مع نشوء

¹ إبراهيم أبراش: تنظيم فتح وحركة فتح، مقال إلكتروني، موقع سما الإخبارية، 28-10-2013، <https://bit.ly/32IkqIB>.

حركة فتح تجسدت الكيانية الفلسطينية لأول مرة بشكل شعبي ثوري بعد النكبة، مقارنة بمنظمة التحرير التي تأسست بقرار من النظام العربي الرسمي.

8.3 تأسيس منظمة التحرير الوطنية الفلسطينية عام 1964

منظمة التحرير الفلسطينية: هي المنظمة التي أعلن عن إقامتها في " المؤتمر العربي الفلسطيني الأول"، المنعقد في القدس في 28-5-1964 استناداً إلى الإيمان بحق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه المقدس فلسطين، وتأكيداً لحتمية معركة تحرير الجزء المغتصب فيه، وعزمه وإصراره على إبراز كيانه الثوري الفعال وتعبئة طاقاته وإمكانياته وقواه المادية والعسكرية والروحية.

والمنظمة هي قيادة معبئة لقوى الشعب العربي الفلسطيني لخوض معركة التحرير، ودرع لحقوق شعب فلسطين وأمانيه وطريقه للنصر(البند الأول من إعلان المؤتمر العربي الفلسطيني الأول).

والمنظمة هي الممثلة لقوى الثورة الفلسطينية ومسؤولة عن حركة الشعب العربي الفلسطيني في نضاله من أجل استرداد وطنه وتحريره والعودة إليه وممارسة حق تقرير مصيره (الميثاق الوطني المادة 26).¹

وهي " تجمع للقوى الفلسطينية في جبهة وطنية من أجل ثورة مسلحة لتحرير الأرض"، (مقررات المجلس الوطني الفلسطيني الدورة الرابعة)، ويعتبر الفلسطينيون جميعاً أعضاء طبيعيين في منظمة التحرير الفلسطينية، والشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة (المادة الرابعة من النظام الأساسي).

والمجلس الوطني، ومقره الأساسي القدس، هو السلطة العليا لمنظمة التحرير الفلسطينية، والمنظمة، من الناحية القانونية التي تعتبر هيئة إقليمية مستقلة، لم تنشأ بقرار حكومي، بمعاهدة

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق ص 585.

دولية وإنما أعلنت عن إقامتها بنفسها وبارادتها المستقلة والمنفردة، ومن ثم الاعتراف بها عربياً وإقليمياً ودولياً بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.¹

ويرى ماهر الشريف أنه وعلى الرغم من تشتت الشعب الفلسطيني وتوزعه على تجمعات عديدة، تتباين في أوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية، استطاعت منظمة التحرير الفلسطينية، التي جسدت هذه الحركة أن توحد هذه التجمعات في كيان سياسي واحد.²

لقد كان قيام منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964، هو التعبير الأقوى عن الهوية الوطنية الفلسطينية، ورغم أنها أقوى تعبير عن الهوية؛ إلا أن الهيئة العربية العليا بقيادة الحاج أمين الحسيني قاومتها بشكل مطلق، وشككت بتعبيرها عن الهوية الفلسطينية. أما بقية القوى السياسية الفلسطينية التي كانت قائمة في ذلك الوقت، وإن أجمعت على ضرورة بعث الهوية والكيان الفلسطيني؛ إلا أن الرؤية فيما بينها حول العديد من المسائل تعارضت. وذلك يدل على وجود درجة غير مكتملة من الوعي للهوية والكيان. فهذه الحركات السياسية لم تستخدم في بياناتها ومذكراتها المنشورة إلا مفاهيم كيانية عامة. وقد ارتبط مفهوم تلك القوى للكيان بأنه مواز لـ "المؤسسة" وكيفية أدائها لواجباتها الكفاحية.³

فشلت كل الأطر السياسية التي شكّلت بعد النكبة في تمثيل الشعب الفلسطيني وإبراز قضيتهم وهويتهم الوطنية حتى تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964 التي تُعتبر التعبير الأقوى عن الهوية الوطنية الفلسطينية، فأصبح من خلالها للشعب الفلسطيني كيان يمثلهم ورموز وطنية تعبر عن هويتهم ومؤسسات وطنية توّدهم كالعلم والنشيد والميثاق والمجلس الوطني... وكان لدخول حركة فتح للمنظمة وقيادتها لها دور في مزيد من الانزياح نحو البُعد الوطني على حساب البُعد القومي، إضافة إلى إبراز القضية الفلسطينية في بُعدها الوطني وليس فقط الإنساني

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص586.

² ماهر الشريف: خمسون عاماً على قيام منظمة التحرير الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،
https://bit.ly/32HizII، 2014-4-23.

³ عبد الفتاح القلقلي: الهوية جذور ومسار، مرجع سابق ص51.

في المحافل الدولية، ولا ننسى أن كل ذلك بفضل الشرعية الثورية التي انتزعتها المنظمة بفضل فعلها المقاوم.¹

في حين تشير الباحثة أن الشعب الفلسطيني كان يعاني من التفسخ كيانياً على أثر أحداث النكبة حيث أصبح هذا المجتمع المشتت في الخارج والداخل بلا أي تمثيل أو قيادة فعلية، سواء من كان في فلسطين أو من وجد خارجها بفعل اللجوء فلم يستطيع اللاجئين التعبير عن أية هوية وطنية في بلاد الشتات، وإن كان هناك بعض الفرص المشروطة وضمن محددات وقيود فرضتها تلك الدول، يعتبر العام 1964 نقطة تحول في تاريخ القضية الفلسطينية، وعودة لتبلور الهوية الوطنية الفلسطينية، حيث نشأت منظمة التحرير الفلسطينية والتي تشكلت من أجل تحرير الأراضي الفلسطينية كاملة وفي الوقت الذي كانت فيه غزة تحت الحكم المصري والصفة الغربية تحت الحكم الأردني فكانت التعبير الرسمي الأول عن الفلسطينيين، بعد أن كانوا بلا جنسية أو دولة أو حتى هوية واضحة، فأصبحت إحدى حركات التحرر الوطني المعاصر التي مثلت الكل الفلسطيني.

9.3 الهوية الوطنية لدى فلسطيني الأراضي المحتلة عام 1948

ما فيما يخص العلاقة مع فلسطيني 1948، فإنه حتى 1967 قطعت العلاقات التواصلية بين الضفة الغربية وبين الفلسطينيين الذين بقوا في أراضيهم سنة 1948، وعزل هؤلاء أيضاً عن محيطهم العربي، وسمّتهم الدولة الاستعمارية الناشئة بـ "عرب إسرائيل" لتفصلهم وتميزهم عن باقي مكونات المجتمع الفلسطيني، وتدرجياً تغيرت العلاقة وتحسنت بعد 1967 من خلال توطيد أنماط التشاركيات الثقافية والسياسية بالتزامن مع عملية "الفلستنة" التي تتنامى بشكل مطرد منذ أكثر من عشرين سنة.²

¹ وليد القطبي: تطور الهوية الوطنية الفلسطينية بين المقاومة والمساومة، مقال إلكتروني موقع فلسطين اليوم، 28-9-2017، <https://bit.ly/2KejZZC>.

² أباهر السقا، الهوية الاجتماعية الفلسطينية: تمثلاتها المتشظية وتداخلاتها المتعددة، ورقة بحثية، طرحت في مركز مسارات، سلسلة وقائع المؤتمر الثاني السنوي 2013، ص52.

تشير الباحثة إلى أنه نتيجة لتمزق نسيج المجتمع الفلسطيني على أثر النكبة ازداد شعور سكان الأراضي المحتلة عام 1948 بالعزلة والتهميش والخضوع لسلطة الحاكم العسكري، على اعتبارهم أقلية غير مرغوب فيها فترات طويلة وفي ظل غياب أي تمثيل وطني ف كانت الهوية الوطنية ضعيفة لهؤلاء الفلسطينيين.

10.3 النكسة العربية 1967

(النكسة مصطلح تلطيفي للهزيمة التي مُني بها العرب أمام إسرائيل عام 1967، للإيحاء بأن الأمة لم تهزم وخوضها المعركة مرة أخرى كفيل بتحقيق النصر، ويقال إنه أطلق من قبل المستشار السياسي للرئيس المصري جمال عبد الناصر في حينه وهو الصحفي محمد حسنين هيكل).

والنكسة هي الهزيمة العسكرية للجيش العربية، وسقوط الأراضي العربية المتمثلة في الضفة الغربية والقدس وغزة وصحراء سيناء وهضبة الجولان واحتلالها إسرائيلياً، ونزوح ما يقارب 410 آلاف لاجئ، منهم 100 ألف لاجئ أصلاً نزحوا من المخيمات الفلسطينية بالدرجة الأولى إلى الأردن، كمخيمات عقبة جبر، ونويعة، والبقعة، وجرش، استكمالاً لتهجير نكبة 1948، ليصبح أكثر من ثلثي الشعب الفلسطيني خارج فلسطين.¹

كانت هزيمة الخامس من حزيران 1967 بمثابة صدمة، ليس فقط للأنظمة العربية ذات التوجهات القومية التقدمية، وإنما للتنظيمات والفصائل الفلسطينية أيضاً، ذلك أن القوى الفلسطينية التي حملت لواء الوطنية القطرية الفلسطينية لم تسقط من حساباتها أهمية الدعم والإسناد العربي للثورة الفلسطينية.²

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص 608.
² عماد الدين محمد أبو رحمة: أثر عملية التسوية السياسية على الهوية الوطنية الفلسطينية، دراسات لاتجاهات طلبية الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة 2011، ص 101.

1.10.3 أبعاد النكسة

بعد النكسة ازدادت الهالة التي أحاطت بإسرائيل على أنها " الدولة التي لا تقهر"، وظلت هذه الهالة حتى عام 1973، حيث تغيرت الصورة جزئياً بعد حرب أكتوبر، بعدما تركت النكسة أثرها السلبي العميق في معنويات الجيوش العربية، وهذا ما يشير إليه الدكتور سليم تماري بقوله: " لو لم تسقط الأراضي الفلسطينية والعربية في نكسة حزيران لكانت هزيمة محدودة، لا تحمل ذلك الأثر الذي رافق اندحار الجيوش العربية عن المناطق المحتلة في وقت قياسي".¹

وقد كانت للنكسة آثارٌ سياسية وعسكرية واضحة غيرت خريطة المنطقة وأعدت النظر في مسعى تحرير فلسطين في إطار دولة بحدود ما قبل 67، وأدت إلى اعتراف ضمني بإسرائيل على حدود 48، ما حدا بمعظم الأحزاب الفلسطينية إلى تبني طرح أكثر واقعية وهو دولتنا لشعبين، والتوجه نحو تقبل الفكر التفاوضي والحلول السياسية مع الكيان الإسرائيلي.

وعلى الصعيد الاجتماعي للنكسة، فإن نزوح جزء كبير ممن بقي في الضفة وغزة ما بعد النكبة، وتحوّل الحكم السياسي من ارتباط مع الأردن ومصر إلى خضوع إداري وعسكري للاحتلال الإسرائيلي، أديا في نهاية الأمر وبعد مواجهات دامية إلى " تسليم الشعب الفلسطيني، بالأمر الواقع، وانخراط معظمهم في العجلة الاقتصادية الإسرائيلية من خلال عملهم كعمال في المصانع والمعامل وورش البناء والمزارع، مع انفتاح جغرافي على جميع أجزاء ومناطق فلسطين".²

ولكن؛ وفي نظرة إلى خارطة الإبداع في فلسطين، نجد أن سياسة إسرائيل عملت على عزل الفلسطينيين عن محيطهم العربي، وتعطيل تحصيلهم العلمي والأكاديمي، وفرض القيود على ممارسة العمل الإبداعي، حيث فرضت على مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة العزلة وسياسة الحرمان والعقاب الجماعي التي كان لها أكبر الأثر على ضعف النتاج الإبداعي في جميع الفنون تقريباً، و" سيادة منطق الهوية والارتجال والاجتهاد الشخصي".

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص 608.

² المرجع السابق، ص 608.

2.10.3 النكسة والوعي العربي

أيقظت النكسة وعي الناس وجعلتهم يعيدون النظر في جدوى وصيرورة القومية العربية وقدرة الأمة العربية على التوحد، وأضحت الشعارات الناصرية والبعثية العلمانية مشككاً فيها، وبدأ ظهور تيارات بديلة أكثر راديكالية كالتيارات الدينية الإسلامية التي تجسدت في الإخوان المسلمين وحزب التحرير، فانهزمت فكرة التوحيد، والقومية العربية والإيمان بالقيادة العربية وتنامى الإدمان الفلسطيني على الذات، لقناعتهم بأنهم "الوحيدون في المواجهة وهم الفدائيون أصحاب الفكر الأيديولوجي المتفرد".¹

وقد اشتدت عملية النقد الذاتي العربي حدةً بعد النكسة، ولم تقف آثار الصدمة عند حدود الوجدان، وإنما تعدتها إلى الفكر العربي ذاته وذلك من خلال عمليات النقد واسعة المدى التي دارت بين المثقفين العرب، والتي كانت أشبه بالحاكمات القومية لتحليل الهزيمة، وإرجاعها إلى أسبابها وعواملها الحضارية والاجتماعية والسياسية.

كما أحدثت النكسة تغييراً في وعي اللاجئيين، فاجتهدوا لفك عزلتهم الجماعية داخل المحيط الاجتماعي العربي الذي يعيشون فيه، فأقنعوا الآخرين بالمأساة التي لحقت بهم جراء الظلم التاريخي الذي استهدفهم عام 1948.²

ويعقب أسامة يوسف عن حدث النكسة: "بينما كانت منظمة التحرير في طور التأسيس وترسيخ وجودها إذا بالنكسة تكمل مشهد اللجوء وتضاعف أعداد اللاجئيين وترفع مستوى الهواجس لدى الشعب الفلسطيني بتآكل هويته وضياع ما تبقى من أرضه، وعقم النظام العربي الرسمي الذي اجتهد في التخلي عن دوره الوطني اتجاه القضية الفلسطينية".³

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص608.

² المرجع السابق، ص608.

³ أسامة يوسف: الهوية الوطنية الفلسطينية تراكمات التاريخ والاستعمار، مقال إلكتروني، موقع العربي الجديد، 21-5-

. <https://bit.ly/2qKNKKQ>، 2017

تعتبر الباحثة أن النكسة عام 1967 شكلت هزيمة فعلية للجيش العربي مما أدى إلى صدمة في الوعي العربي والفلسطيني لا سيما أن الهزيمة لم تكن عسكرية فقط بل تركت آثاراً فكرية واجتماعية ومعنوية، تجلّى شعور الهزيمة والألم في نفس المواطن العربي الذي فقد ثقته بالأنظمة العربية في الوقت ذاته انكشمت الهوية الوطنية الفلسطينية وخاصة بعد طرد الآلاف من الفلسطينيين وازدياد عدد اللاجئين واحتلال باقي الأراضي الفلسطينية بالكامل وبعض الأراضي العربية فتبدد أمل تحرير فلسطين وحلم العودة.

11.3 معركة الكرامة 21-3-1968

هي معركة فاصلة في تاريخ الثورة الفلسطينية الحديثة ودارت رحاها في بلدة الكرامة الأردنية في غور الأردن بتاريخ 21-3-1968 بين الفدائيين والجيش الأردني من جهة، وبين القوات الإسرائيلية من جهة أخرى، وحققت فيها قوات حركة (فتح)، بشكل أساسي، وعدد من القوات الفلسطينية الأخرى مثل (ج.ت.ف) جبهة التحرير الفلسطينية نصراً أضاء ظلام سماء هزيمة حزيران (يونيو) 1967.¹

وكان الهجوم الإسرائيلي يهدف إلى إنهاء العمل الفدائي الفلسطيني، ومعاقبة الأردن على احتضانه العمل الفدائي الفلسطيني، وقيامه بإسناد الفدائيين الفلسطينيين في اشتباكاتهم مع الجيش الإسرائيلي على طول الجبهة الأردنية.

قال الشهيد أبو جهاد عن الكرامة كما جاء في شؤون فلسطينية (نيسان إبريل -1978 م) ما يلي: " لقد كانت معركة الكرامة قرار مواجهة وتضحية، ولكن بإيمان من يصنع حقيقة جديدة يمكن أن تكون نقطة تحول في تاريخنا وتاريخ ثورتنا الفلسطينية ونضالنا العربي، وكانت الكرامة نقطة تحول حقيقية، ورغم إمكاناتنا المتواضعة وأعدادنا القليلة، فقد خسرتنا حوالي 97 شهيداً وحوالي 66 أسيراً إلى جانب تدمير مخيم الكرامة، إلا أن هذه المعركة أعطت في تاريخ النضال الفلسطيني والعربي دفعة جديدة إلى الأمام، وهيات للثورة القدرة على النمو، كنا بعد يوم

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص 564.

واحد من معركة الكرامة نجلس تحت أشجار مدينة السلط، حيث تقف في مواجهتنا طوابير ممتدة من القادمين للتطوع والالتحاق بالثورة، نبدأ التسجيل في الساعة صباحاً ولا تنتهي إلا في الثامنة مساءً، لقد تفجرت روحية العطاء لدى جماهير شعبنا وأمتنا أثر تلك المعركة الخالدة".¹

دلالات معركة الكرامة

أما دلالات معركة الكرامة، فقد قال هاني الحسن عضو اللجنة المركزية لحركة " فتح" إنها أوقفت التقهقر العربي وانهزام الجندي العربي من وقتها. وقال صخر حبش عضو اللجنة المركزية في فتح أيضاً: إنها معركة تعبر عن انعطاف تاريخي في تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي، وبالتحديد، لها دور كبير جداً في مفهوم " حركة فتح" النضالي، إذ أنها تنطلق بفكر وطني ثوري يعتمد الكفاح المسلح وحرب العصابات أسلوباً للنضال يتراكم ليحقق تحرير الوطن، ووجدت نفسها أمام مأزق التشبث بالنظريات السائدة وبين اختيارها أسلوباً جديداً للمواجهة يتعارض مع كل الأسس النظرية لحرب العصابات.

كانت معركة الكرامة الحدث الذي يعبر عن أهمية الشموخ الفلسطيني والتلاحم الأردني، فمعركة الكرامة كانت منعطفاً تاريخياً خطيراً، وقد نكون استثمرنا فيه النصر أكثر من اللازم، حيث تنازلت (فتح) عن شروط عضويتها، وأقبل على الالتحاق بها الآلاف يومياً، واكتسبت المقاومة الفلسطينية والحركة مداً جماهيرياً منقطع النظير، وبالتحديد حركة "فتح" لكونها التنظيم الفلسطيني اتخذ قرار المواجهة، وشاركت معه في المعركة قوات التحرير الشعبية، بينما اعتبرت التنظيمات الأخرى أن هذا العمل انتحار، ومخالف لنظريات حرب العصابات، والكرامة التي تدل على العمق الحقيقي لأهمية القتال، خاصة عندما يكون هناك تضافر ووحدة، ووحدة الجيش مع وحدة العمل الفدائي التي خلقت الأسطورة، فلم يكن بمقدور الجيش وحده العمل، وكذلك الفدائيون، فهذه الأسطورة مركبة ومزدوجة ويعود الفضل فيها إلى القرار الشجاع الذي اتخذته حركة " فتح" بالصمود في أرض المعركة.²

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، 565.

² المرجع السابق، ص 566.

وفي ردة فعل سريعة وبعد معركة الكرامة في آذار 1968 أثبتت الفصائل الفلسطينية قدرتها على مواجهة المحتل واجتراح المعجزات، وعلى خلفية النكسة وتداعياتها تضخم الوجود الفلسطيني المسلح في الأردن وبرز تناقض واضح بين النظام الأردني والفصائل الفلسطينية أفضى إلى الصدام المسلح فيما عرف في الأدبيات الفلسطينية بأيلول الأسود (1970-1971)، تكرر التناقض مرة أخرى ولكن هذه المرة على الساحة اللبنانية في صدام استمر لسنوات وهو في المحصلة أضعف البعد العربي التضامني في الهوية الوطنية الفلسطينية بحرف البوصلة الثورية وتوجيهها نحو العمق العربي، الحالة الثورية المؤقتة في لبنان انتهت عملياً بخروج فصائل منظمة التحرير الفلسطينية منها بعد حصار بيروت عام 1982م، وبعد ملحمة طويلة أعادت الاعتبار للبندقية الفلسطينية في اقتراب أكثر من جوهر الهوية الوطنية الفلسطينية.¹

تري الباحثة أن معركة الكرامة أعادت المشاعر الوطنية للفلسطينيين والعرب الذين كانوا لا يزالون تحت تأثير هزيمة النكسة، تجسدت خلال هذه المعركة وحدة الدم الأردني الفلسطيني والفلسطيني الفلسطيني، الفدائيون من "فتح" و"الجبهة الشعبية" وانضم لهم فيما بعد قوات التحرير الشعبية، والتي كانت منشأة حديثاً من جيش التحرير الفلسطيني. وقد أبرزت الكرامة الشخصية النضالية للإنسان الفلسطيني بعد شعور الضياع والانكسار حيث كانت الكرامة نقطة تحول في تاريخ الثورة الفلسطينية والتي استطاعت إلحاق أول هزيمة فعلية بجيش الاحتلال الإسرائيلي ومن أبرز التحولات التي أفرزتها الكرامة هي سيطرة فصائل الثورة خاصة حركة فتح على منظمة التحرير الفلسطينية واكتسبت الثورة زخماً جماهيرياً فقد حققت أول إنجاز وطني فلسطيني أعاد للفلسطيني أمجاده وأحيى شعور الوطنية ورفع الإرادة لدى المواطن الفلسطيني والعربي.

12.3 تطور هوية فلسطيني الأراضي المحتلة عام 1948

بعد حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973، بدأت مرحلة جديدة في تطور الهوية الفلسطينية، والعربية الفلسطينية وفي الأساس بفضل تطورات حدثت على الساحة الفلسطينية كان أهمها:

¹ أسامة يوسف: الهوية الفلسطينية تراكمات التاريخ والاستعمار، مرجع سابق.

أ) اتساع الاعتراف الدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية وبحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. وقد انعكس ذلك بقبول منظمة التحرير الفلسطينية سنة 1974 عضواً مراقباً في الأمم المتحدة.

ب) تشديد السلطات الإسرائيلية قبضتها الحديدية ضد الفلسطينيين في الأراضي المحتلة وتصعيد اعتداءاتها على مخيمات اللاجئين في لبنان. وقد وصلت هذه الاعتداءات إلى ذروتها في الغزو الإسرائيلي للجنوب اللبناني سنة 1982.

ج) ارتكاب "الأخوة" العرب الكثير من المجازر ضد الفلسطينيين، كان أبشعها مجازر صبرا وشاتيلا سنة 1982 التي ارتكبتها عصابات الكتائب بدعم من الجيش الإسرائيلي؛

د) عجز الأنظمة العربية عن إيقاف المجازر والاعتداءات السابق ذكرها بحق الشعب الفلسطيني.

بالإضافة إلى هذه التطورات الخارجية، فقد حدثت في العقدين الأخيرين تطورات مهمة في البنية الاجتماعية للعرب في إسرائيل، ساهمت في تعزيز هويتهم الوطنية. أما أهم هذه التطورات فهو:

أ) ازدياد تحول الفلاحين العرب إلى عمال مأجورين في المدن اليهودية. فقد انخفضت نسبة العاملين في الزراعة، من مجموع الأيدي العاملة العربية، من 50% سنة 1955 إلى 40% سنة 1795، و 20% سنة 1973، و 10% سنة 1983، وإلى أقل من ذلك اليوم. ولقد ساهم في هذا التحول عوامل عديدة أهمها: مصادرة الأراضي العربية، وتفتت الملكية بسبب تقسيمها بين الورثة، وانخفاض إنتاجية الزراعة العربية البعلية. إن تحول المزارعين العرب إلى عمال، ولا سيما في قطاع البناء، في المدن اليهودية، قد أضعف ارتباطهم بالأطر الاجتماعية التقليدية، وخصوصاً الحمولة، وعرضهم للكثير من مظاهر التمييز ضدهم في سوق العمل الإسرائيلية، وبذلك يكون قد عمق وعيهم الوطني؛

ب) اتساع شريحة المتعلمين، وخصوصاً خريجي الجامعات. فقد بلغ عدد خريجي الجامعات العرب سنة 1988، نحو عشرة آلاف خريج (في مقابل 350 خريجاً سنة 1960) هذا بالإضافة إلى نحو أربعة آلاف طالب في الجامعات والمعاهد العليا في البلد والخارج. إن انضمام نحو 42% من الخريجين العرب إلى سوق البطالة قد عمق اغترابهم عن المجتمع الإسرائيلي (عاطلين عن العمل، أو يعملون في أعمال بعيدة عن تخصصهم)، وهكذا، فإن اتساع هذه الشريحة، المتميزة بوعيها الوطني، وبمكانتها المرتفعة في مجتمعها، قد ساهم في انتشار الوعي الوطني الفلسطيني لدى الجماهير العربية في إسرائيل.

ج) ظهور تنظيمات عربية قطرية تدافع عن حقوق العرب، وتقاوم سياسة التمييز التي تمارسها السلطة ضدهم. إن أهم هذه التنظيمات هو لجنة رؤساء السلطات المحلية العربية التي أُلقت سنة 1974، لمعالجة قضايا محلية. لكن سرعان ما اتسعت اهتماماتها لتشمل أيضاً قضايا قطرية، مثل مصادرة الأراضي ومشكلات التعليم العربي. وفي سنة 1975، أُلقت اللجنة القطرية للدفاع عن الأراضي، بهدف مقاومة مصادرة الأراضي العربية. وكذلك أسس الاتحاد القطري للطلاب الثانويين العرب سنة 1974، واتحاد طلاب الجامعات العرب سنة 1975. وبالإضافة إلى هذه الأطر التمثيلية، فقد ظهرت في السبعينات من هذا القرن حركات سياسية ذات نزعة انفصالية عن المجتمع الإسرائيلي، أهمها حركة "أبناء البلد" و"الحركة الإسلامية".

و " أبناء البلد" حركة وطنية فلسطينية تهدف إلى "توحيد الوطن وإقامة نظام اشتراكي" فيه. ولذلك فإنها لا تعترف ب " الكيان الإسرائيلي"، وهي تدعو المواطنين العرب إلى مقاطعة انتخابات الكنيست. أما الحركة الإسلامية، وهي أيضاً لا تعترف ب " الكيان الإسرائيلي" وتقاطع انتخابات الكنيست، فإنها ترى أن الحل الأمثل للقضية الفلسطينية هو إقامة دولة إسلامية في فلسطين كلها. هذه التنظيمات العربية بالإضافة إلى الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (1977) والقائمة التقدمية للسلام (1984) وهما حزبان يؤمنان بالنضال العربي اليهودي المشترك، قد ساهمت في تعميق الوعي الوطني الفلسطيني بين العرب في إسرائيل.¹

¹ محمود ميعاري: هوية الفلسطينيين في إسرائيل، مرجع سابق، ص 10.

تميل الباحثة إلا أن الظروف لها دور في إظهار مستوى معين للهوية، خاصة في ظل هوية نقيضة ومضادة فساهمت كل هذه العوامل الخارجية والداخلية في زيادة الوعي وإعادة تكوين المشاعر الوطنية لفلسطينيين الأراضي المحتلة عام 1948، مما أدى إلى إعادة إنعاش الهوية الوطنية الفلسطينية لديهم.

13.3 برنامج النقاط العشرة 1974

استمر منحى صعود الهوية الوطنية الفلسطينية عبر مفصل أحداث أيلول في الأردن، ليبدأ مسيرة "استقرار" نسبي بعد حرب أكتوبر 1973، وتحديداً حيث تغيرت قواعد الاشتباك عبر مفصل البرنامج المرهلي - برنامج النقاط العشرة بوصفه برنامجاً سياسياً تبنته منظمة التحرير الفلسطينية في دورة المجلس الوطني الفلسطيني الثانية عشرة، وهو المفصل الذي أسس لتحول جذري لم تتضح معالمه إلا في دورة المجلس الوطني التاسعة عشرة في الجزائر ورغم حالة "الاستقرار النسبي" تلك، إلا أن عام 1974 شهد نقطة تحول مهمة عندما أصبحت فلسطين كجغرافيا شيئاً مختلفاً عما كان سائداً في ذهن الذاكرة الاجتماعية الفلسطينية.¹

ويكمل شريم ويشهد استقرار منحى الهوية الوطنية الفلسطينية النسبي بين دورتي المجلس الوطني الفلسطيني (1974-1988) ما يشبه "الطفرة" الصاعدة، والتي تمثلت في مفصلين هامين: الأول برز في محطة الاجتياح الإسرائيلي للبنان وحصار المقاومة الفلسطينية في بيروت سنة 1982، والثاني برز في الانتفاضة الشعبية سنة 1987 ذلك أن المحطتين شهدتا استثناءً في قواعد الاشتباك مع المشروع النقيض، وتميزتا "بالعنف" المباشر في فترة طويلة من الاشتباك السياسي، لكنه "عنف" لم يؤثر في مسار قواعد الاشتباك السياسي بقدر ما عززها، وهو الأمر الذي اتضح في دورة المجلس الوطني التاسعة عشر في الجزائر سنة 1988.²

¹ كايد عزت شريم: الهوية الوطنية الفلسطينية جدل الواقع ومأزق الخطاب، مرجع سابق ص 115، الإقتباس الأخير عن باسم زيبيدي: الفلسطينيون الهوية وتمثلاتها، مداخلة في مؤتمر مسارات، ص 64.

² المرجع السابق.

ورغم أن منظمة التحرير كانت التعبيري الأقوى عن الهوية الفلسطينية إلا أن مفهومها عن الكيان الفلسطيني عانى من ضبابية، وخاصة في النطاق الجغرافي. ولعل من أسباب ضبابية مفهوم الكيان والهوية عند منظمة التحرير الفلسطينية هو التنازلات الكيانية التي قدمتها من (غير جدوى) لتجعل نفسها مقبولة عند الأردن. وعلى كل، يمكن تقسيم مراحل وعي م.ت.ف. لمفهوم الكيان والهوية إلى أربع فترات، وذلك حسب الفواعل التي أثرت في ذلك الوعي أو غيرت اتجاهه:

المرحلة الأولى، وهي منذ تأسيسها وحتى حرب حزيران 1967 حيث استولت إسرائيل على ما كان قد تبقى من أرض فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة).

المرحلة الثانية، من حرب حزيران 1967 حتى حرب تشرين الأول 1973، حيث عبر جيشا سوريا ومصر خطوط "النكسة"، و مجرد "العبور" أعاد للعرب شيئا من الكرامة، وأصبح بالإمكان التعامل مع إسرائيل متجاوزين اللاءات الثلاث (لا مفاوضات ولا صلح ولا اعتراف مع إسرائيل) التي أطلقها مؤتمر القمة العربي الرابع في الخرطوم (8/29 — 1967/9/1).

المرحلة الثالثة، من حرب تشرين الأول 1973 وحتى مؤتمر مدريد ثم اتفاقية أوسلو 1993 حيث تواجهت دول الطوق (لبنان وسوريا والأردن) ومنهم الفلسطينيون، مع إسرائيل على مقاعد المفاوضات وليس في ميادين القتال.

المرحلة الرابعة، هي من اتفاقية أوسلو حتى الآن، حيث التقت إسرائيل مع منظمة التحرير الفلسطينية مباشرة حول طاولة المفاوضات وليس في ميادين القتال، وقد تبادل الاعتراف وصار لمنظمة التحرير الفلسطينية حكم ذاتي " جزئياً " في غزة والضفة الغربية رغم بقاء الجنود الإسرائيليين على أبواب مكاتبها هناك.¹

بينما يرى ماهر الشريف أنه يمكننا تقسيم تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية خلال هذه السنوات الخمسين إلى مراحل خمس رئيسية: المرحلة الأولى، وهي التي يسميها مرحلة الولادة

¹ عبد الفتاح القلقلي " الهوية جذور ومسار، مرجع سابق ص52.

العربية للمنظمة، وتمتد من عام 1964 إلى عام 1968؛ والمرحلة الثانية، هي مرحلة هيمنة الكفاح المسلح في الشتات، وتمتد من عام 1968 إلى عام 1982؛ والمرحلة الثالثة هي مرحلة البحث عن تسوية سياسية ضمن مشاريع الحكم الذاتي، وتمتد من عام 1982 إلى عام 1993؛ والمرحلة الرابعة هي مرحلة تهميش منظمة التحرير وشيوع الوهم بأن كيان الحكم الذاتي سيتحول إلى دولة مستقلة، وتمتد من عام 1993 وحتى عام 2002؛ والمرحلة الخامسة وهي مرحلة البحث عن الإصلاح المتعثر، وتمتد من عام 2002 إلى اليوم.¹

ربما كان النتاج الأهم في تاريخ النضال الوطني الفلسطيني المعاصر، من زاوية الإنجازات، هو بناء مقومات الهوية الوطنية: التعبير السياسي الكياني وسلسلة من المؤسسات الشعبية والرسمية والاجتماعية والنقابية، دون نسيان التعبيرات الثقافية والفنية، والبرنامج الوطني الشامل (الميثاق الوطني ووثيقة الاستقلال)، وقبل ذلك الالتفاف الشعبي حول قيم جماعية شكلت الشعور الجمعي الفلسطيني الذي تمحور حول النضال ضد الاحتلال باعتباره، أي هذا الشعور، شعوراً جمعياً تحريماً يتمسك بالوطن ولا يقبل المساومة عليه... وغيرها من المقومات، وبالتالي، كان أي مساس بهذه التعبيرات سيكون بمثابة معول تفكيك لمقومات تلك الهوية.²

تري الباحثة أن برنامج النقاط العشرة الذي تبنته منظمة التحرير عام 1974 نقطة تحول مفصلية في مسيرتها وتوجهاتها حيث انخرفت في برنامجها الوطني من خلال الاستغناء عن الكفاح المسلح كاستراتيجية ووسيلة للتحرير واستبداله في وسائل أخرى سياسية ودبلوماسية وشعبية، وهي بذلك تراجعت عن الهدف الذي تأسست من أجله بعد أن كانت الكيان الوطني الذي تتجسد فيه الهوية الوطنية الفلسطينية، ولم يكن هناك إجماع وطني حيث رفضت بعض الفصائل الفلسطينية هذا التحول مما أدى إلى أول شرخ بين هذه الفصائل وزعزعت البيت الفلسطيني.

¹ ماهر الشريف: خمسون عاماً على قيام منظمة التحرير الوطنية الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ورقة بحثية منشورة، <https://bit.ly/2pVxFlD>.

² وسام رفيدي: الهوية الوطنية الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو وإشكالية التفكك، ورقة بحثية منشورة، موقع بديل المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، جريدة حق العودة العدد 45، <https://bit.ly/2XamYYv>.

14.3 الانتفاضة الفلسطينية الأولى 1987

بعد خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت عام 1982، نتيجة العدوان الإسرائيلي على لبنان، وابتعاد القيادة الفلسطينية عن خط التماس مع الشعب الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بدأ الإحساس لدى الفلسطينيين بأهمية نقل المعركة ضد (إسرائيل) إلى الضفة الغربية وقطاع غزة، لمقاومة استمرار الاحتلال الإسرائيلي ووقف الممارسات الإسرائيلية ضدهم. وجاء انعقاد مؤتمر القمة العربي الطارئ في عمان 1987/11/8، لبحث الحرب العراقية - الإيرانية وغياب القضية الفلسطينية لأول مرة عن جدول أعمال مؤتمرات القمة العربية، بمثابة العامل المساعد الآخر الذي دفع الفلسطينيين إلى التحرك من أجل إعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية، وضرورة استمرار بقائها القضية المركزية في الوطن العربي. مما دفع الشعب الفلسطيني إلى أن يقوم بانتفاضة بطولية، عمت جميع أرجاء الأراضي الفلسطينية المحتلة ضد سلطات الاحتلال الإسرائيلي، وكان لها الأثر الكبير في إحياء القضية الفلسطينية، ومهدت الطريق أمام إشراك منظمة التحرير الفلسطينية في عملية السلام.¹

أسباب الانتفاضة

يمكن إجمال الظروف التي ساهمت في انطلاقة الانتفاضة الفلسطينية بالأسباب التالية:

1- تراجع الاهتمام العربي بالقضية الفلسطينية، خاصة بعد انعقاد مؤتمر القمة العربي في عمان، الذي لم يبحث في إزالة الاحتلال الإسرائيلي عن الضفة الغربية وقطاع غزة. وشعور الفلسطينيين بأن عليهم أن يأخذوا المبادرة بأنفسهم، ويعملوا من أجل الضغط على (إسرائيل) لكي تنسحب من الأراضي الفلسطينية المحتلة.

2- خروج مصر من ساحة الصراع العربي - الإسرائيلي، بعد توقيعها على اتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام مع (إسرائيل)، وافتقاد الجماهير الفلسطينية الأمل بحل عربي يزيل

¹ الموسوعة الفلسطينية، 16-9-2013، <https://bit.ly/32Ija1L>.

الاحتلال الإسرائيلي عنهم، بسبب عدم إمكانية حدوث مواجهة عربية ضد (إسرائيل) من دون مشاركة مصر.

3- خروج المقاومة الفلسطينية من لبنان، وابتعاد القيادة والثورة الفلسطينية عن فلسطين، مما أوجد الخشية لدى الفلسطينيين في الداخل، بأنهم أصبحوا بعيدين عن التأثير على صانع القرار الفلسطيني، وأنه لا بد من العمل من أجل إبقاء النضال في الداخل الأساس في تحريك قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج.

4- الممارسات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين في الداخل، واستمرار الاحتلال طيلة عشرين سنة، من دون وجود بوادر أمل على نهايته. ومصادرة الأراضي الفلسطينية وبناء المستوطنات، ومحاصرة المدن والقرى الفلسطينية واعتقال القيادات في الداخل، مما أوجد حالة من الإحساس الوطني بضرورة التصدي للاحتلال الإسرائيلي والعمل على إزالته.¹

الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987 شكلت تحولاً مهماً في الحياة الفلسطينية السياسية والشعبية "بانقلاب مركز الثقل الفلسطيني إلى الداخل بعد تمرّكه لعقود في الشتات، وذلك بسبب وجود القيادة الممثلة للشعب الفلسطيني (منظمة التحرير الوطني الفلسطينية) في الخارج، هذا واستطاعت الانتفاضة العمل على تأكيد البعد الوطني في الشخصية الفلسطينية التي تحاول ممارسة حقها في النضال على أرض فلسطين، وظهرت نتائج تطور هذه الشخصية في قرار فك الارتباط عام 1988 بين الأردن والضفة الغربية لقطع الطريق على الاحتلال تنفيذ سياسة الترانسفير أو الوطن البديل.²

ترى الباحثة أن الانتفاضة الأولى تميزت بعفويتها فكانت فعل شعبي غير مخطط له بدأ باحتجاج عفوي لتزداد حدة المواجهات وتتدلع انتفاضة الحجارة بمشاركة جماهيرية واسعة وبالرغم من قلة الإمكانيات فقد تنوعت أساليب المقاومة بين الوسائل والأساليب الجماهيرية الشعبية في بدايتها، وبين الوسائل العسكرية التي تنفذها المجموعات المسلحة التابعة للتنظيمات

¹ الموسوعة الفلسطينية، مرجع سابق.

² حليلة أبو هنية: مراحل تشكل وعي الهوية عند الفلسطينيين، مرجع سابق.

أو التي يقوم بها أفراد في سنواتها الأخيرة، وتعد انتفاضة الحجارة أول مواجهة مباشرة مع الاحتلال الإسرائيلي للسكان الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة على الأراضي الفلسطينية، أدت عدة عوامل مباشرة وغير مباشرة إلى اندلاع شرارة الانتفاضة أسباب مباشرة وغير مباشرة وكان أهمها: الممارسات التعسفية والقمعية للاحتلال الإسرائيلي كسياسية القبضة الحديدية، ورغبة الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وتحرير أرضه بعد حرمانه من هويته الوطنية وإنكار تاريخه، وتردي الأوضاع الاقتصادية، احتلال ما تبقى من فلسطين عام 1967، وأهم ما ميز هذه الانتفاضة بروز دور القوى الوطنية والحركات الإسلامية كنشوء " حركة حماس" والجهاد الإسلامي الداعم الأساسي للانتفاضة وقد شهدت الانتفاضة الأولى التحاماً شعبياً تمثل في التضامن والتكاتف الاجتماعي تمثل في المظاهرات والاضرابات والعصيان المدني وكان هناك إجماع شعبي وفصائلي ساهم في رفع معنويات الشعب الفلسطيني حيث ساهمت الانتفاضة بتعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية من خلال الجهود الشعبية في انتشار العمل الجماهيري مثل لجان العمل التطوعي واللجان الشعبية بعد سنوات عاشها الفلسطينيون في حالة من التشرذم والضياع.

15.3 إعلان الاستقلال 1988

دورة المجلس الوطني في الجزائر سنة 1988 أسست لمرحلة جديدة تمثلت محطتها الأولى في إعلان المجلس استقلال "دولة فلسطين" على الأراضي المحتلة عام 67، وأكدت في بيانها السياسي - لأول مرة في تاريخ الصراع مع المشروع الصهيوني ومن خلال أعلى سلطة تشريعية فلسطينية على " عزم منظمة التحرير الفلسطينية على الوصول إلى تسوية سياسية شاملة للصراع العربي الإسرائيلي، وجوهره القضية الفلسطينية، في إطار ميثاق الأمم المتحدة، ومبادئ وأحكام الشرعية الدولية وقواعد القانون الدولي، وقرارات الأمم المتحدة، وحل قضية اللاجئين الفلسطينيين وفق قرارات الأمم المتحدة الخاصة بهذا الشأن.¹

¹ مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفا: قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، الدورة التاسعة عشر الجزائر 12 إلى 15 تشرين الثاني 1988، <https://bit.ly/33JpU0B>.

محطة الجزائر 1988 حملت معها مفصلاً جديداً في مسار تطور الهوية الوطنية الفلسطينية، ليس بحكم تكريس التغيير الجذري في قواعد الاشتباك مع المشروع النقيض فحسب، بل بحكم التحوّل في مكانة الأرض الوطن الشعب والحكاية الجامعة في مشروع حركة التحرر الوطنية السياسي، ذلك ان قاعدة هذا المشروع تتأسس على الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة على مستوى الشعب / المواطنين، وتتحدد بحدود خطوط الرابع من حزيران عام 67 على مستوى الوطن / الكيان السياسي، وتسعى للمصالحة التاريخية على قاعدة الاعتراف المتبادل على مستوى الذاكرة والتاريخ.¹

ذلك يعني "تعليق" مكانة النسبة الأعظم من الشعب الفلسطيني بوصفهم "لاجئين" أولاً، ويعني "استثناء" مكانة الفلسطينيين في الداخل بوصفهم "مواطني دولة إسرائيل" ثانياً في مستوى الضلع الأول من مثلث الهوية، ويعني ترسيم حدود الوطن بحدود الضفة الغربية وقطاع غزة، أي الاعتراف بالآخر النقيض في حدود الخط الأخضر على مستوى الضلع الثاني من مثلث الهوية، ويعني بداية المصالحة التاريخية على قاعدة الاعتراف المتبادل، أي تعديل الحكاية الجامعة رغم الإقرار "بالظلم التاريخي" للشعب الفلسطيني الذي يحمله هذا التعديل على مستوى الضلع الثالث من مثلث الهوية.

محطة إعلان الاستقلال والبيان السياسي المرافق لها سنة 1988 وفرت الشروط المادية الموضوعية لخطاب جديد في منظورات الهوية الوطنية الفلسطينية، وهو المنظور السياسي الوطني الذي يربط الهوية الوطنية الفلسطينية بالمشروع الوطني الفلسطيني الجديد "مشروع السلام الفلسطيني"، وهو المنظور الذي توفرت أرضيته المادية فعلياً سنة 1994 بتأسيس السلطة الوطنية الفلسطينية تنفيذاً لاتفاق أوسلو سنة 1993.²

جزء من نص إعلان الاستقلال: "على أرض الرسالات السماوية إلى البشر، على أرض فلسطين ولد الشعب العربي الفلسطيني، نما وتطور وأبدع وجوده الإنساني عبر علاقة عضوية، لا انفصام فيها ولا انقطاع، بين الشعب والأرض والتاريخ.

¹ كايد عزت شريم: الهوية الوطنية الفلسطينية: جدل الواقع ومآزق الخطاب، مرجع سابق ص 116.

² المرجع السابق.

بالتبثبات الملحمي في المكان والزمان، صاغ شعب فلسطين هويته الوطنية، وارتقى بصموده في الدفاع عنها إلى مستوى المعجزة، فرغم ما أثاره سحر هذه الأرض القديمة وموقعها الحيوي على حدود التشابك بين القوى والحضارات... من مطامح ومطامع وغزوات كانت ستؤدي إلى حرمان شعبها من إمكانية تحقيق استقلاله السياسي، إلا أن ديمومة التصاق الشعب بالأرض هي التي منحت الأرض هويتها، ونفخت في الشعب روح الوطن، مطعماً بسلالات الحضارة، وتعدد الثقافات، مستلهماً نصوص تراثه الروحي والزمن".¹

تشير الباحثة إلا أن وثيقة إعلان الاستقلال 12 تشرين الثاني عام 1988 ساهمت في إعادة اللحمة بين صفوف منظمة التحرير الفلسطينية بعد سنوات من التشتت خاصة داخل صفوف حركة فتح وأيضاً بعد اقتلاع وجود المنظمة من لبنان عام 1982 وحصار بيروت، من جهة أخرى ورد في نص الإعلان ما يؤكد على خصوصية الهوية الوطنية الفلسطينية (الأرض/الناس/الحكاية التاريخية الجامعة)، أما دولياً فقد اعترفت العديد من دول العالم بدولة فلسطين أمام الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة، و بعد إعلان ياسر عرفات قيام دولة فلسطين تم رفع علم فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة لأول مرة على أمل تحقيق " حلم الدولة المستقلة" و بذلك حققت القضية خطوة دبلوماسية أولى من خلال كسب الدعم والاعتراف الدولي، اعتراف بحد أدنى للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، ولكن هذا الإعلان في ثناياه شكل انعطافاً حاداً في سياسة منظمة التحرير الفلسطينية وتحولاً استراتيجياً من حيث الانتقال من نهج الثورة والكفاح إلى الإعراف والتسوية وقبول المنظمة لمبدأ حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على أساس مبدأ الدولتين، بالتالي قيام دولة فلسطينية على جزء من الأرض الفلسطينية وبالتالي الحرمان من السيادة التامة على الأرض.

في نهاية الفصل ترى الباحثة أنه على امتداد المراحل التاريخية المختلفة التي مر بها الشعب الفلسطيني تعرض الفلسطينيون طوال القرن الماضي لتحولات سياسية ومنعطفات تاريخية أثرت على هويتهم حيث أن الهوية كانت ثابتة ضمن ثلاثة مكونات عربية إسلامية مسيحية، هويات عاشت وتعايش جنباً إلى جنب.

¹ موقع موسوعة الجزيرة الإلكتروني: نص إعلان ياسر عرفات قيام دولة فلسطين ، <https://bit.ly/2CEdong>.

كانت الثورة الفلسطينية الكبرى التعبير الأولي عن الهوية والكيانية الفلسطينية والمواجهة الأولى ضد المشروع الصهيوني والاستعمار البريطاني، كما أن الثورة كانت حدثاً محورياً في تشكيل الهوية الوطنية الفلسطينية بانتقال العمل المقاوم من الطبقات العائلية واقتصاره عليها، ليتعم على مختلف طبقات المجتمع وبالذات الفلاحين وهذا ما صبغ الهوية الوطنية على مدار الفترات التالية بانتشارها وشعوبيتها.

جاءت كارثة النكبة كحدث مفصلي أثر على فردية الانسان الفلسطيني وكلية المجتمع الفلسطيني، إلا أنه سرعان ما تحولت النكبة إلى هوية وطنية جديدة للشعب الفلسطيني من خلال الحكاية الجامعة ومن خلال المخيم في الخارج، وتشكلت الهوية الوطنية المقاومة مع انطلاق حركة فتح وتركيزها على صورة الفدائي والكفاح المسلح.

أدت هزيمة الجيوش العربية في النكسة عام 1967، إلى خيبة أمل للمواطن العربي والفلسطيني حيث تجلى فيها شعور الضياع والانكسار إلى أن أعادت معركة الكرامة 1968، المشاعر الوطنية للعرب عامة ولللسطينيين خاصة ولتستبدل صورة اللاجئ المنكسر وتظهر صورة الفدائي المقاوم من جديد.

يعد برنامج النقاط العشرة حدثاً مفصلياً في مسار الهوية الوطنية الفلسطينية، فبعد مسيرة كفاحية وسياسية دامت لسنوات جاء برنامج النقاط العشرة عام 1947 ليحدث تحولاً مهماً في منظمة التحرير الفلسطينية ومشروعها الوطني، حيث أصبح هناك توجه فلسطيني رسمي جديد في التعامل مع المحتل وحل الصراع من خلال تسوية بناء على قرارات الشرعية الدولية، حيث تم القبول النظري بقيام السلطة الوطنية على جزء من الأرض الفلسطينية وليس على كل الأرض الفلسطينية كما وتم القبول باعتبار المفاوضات أداة لحل الصراع مع الكفاح المسلح.

جاءت الانتفاضة الأولى عام 1987 كرد فعل طبيعي من الداخل الفلسطيني المحتل بشقيه الأراضي المحتلة عام 48 والأراضي المحتلة عام 67، فرسمت انتفاضة الحجارة شكلاً جديداً من أشكال النضال الفلسطيني، مما عزز الهوية الوطنية الفلسطينية وأبرز الشخصية

الوطنية في الداخل، فكانت أول مواجهة فعلية ومباشرة مع الاحتلال على الأراضي الفلسطينية المحتلة، فالانتفاضة الأولى مازالت ماثلة كأبرز الفواعل التي أثرت في الهوية الوطنية الفلسطينية من خلال ظهور قيادة الداخل الفلسطيني وإبراز الشعب الفلسطيني البطل في الحكاية النضالية الفلسطينية ومنهجية الانتفاضة وشعبيتها، كل هذا شكل الهوية الوطنية الفلسطينية في حقبة الثمانينات وبداية التسعينات.

الفصل الرابع

الهوية الوطنية الفلسطينية في ظل التسوية
السياسية: جدلية التهميش وفرض الذات

الفصل الثالث

الهوية الوطنية الفلسطينية في ظل التسوية السياسية: جدلية التهميش وفرض الذات

1.4 من مدريد إلى أوسلو

على وقع الحرب الأمريكية ضد العراق بعد احتلاله الكويت (1990-1991) وبسبب الحاجة الأمريكية إلى العرب في تلك الحرب، قدمت لهم واشنطن إغراء عنوانه الاستعداد للعمل الجاد لحل القضية الفلسطينية، وما إن انتهت الحرب حتى أعلن الرئيس جورج بوش الأب قيام النظام العالمي الجديد برئاسة القطب الأمريكي الأوحده بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وأعلن أيضاً الدعوة إلى مؤتمر مدريد الدولي للبحث في الصراع العربي الإسرائيلي (أواخر سنة 1991)، على أن تنبثق منه مفاوضات ثلاثية مباشرة، بين إسرائيل ولبنان، وإسرائيل وسورية، وإسرائيل والفلسطينيين.¹

فُرضت على الفلسطينيين في هذه المفاوضات شروط عديدة مجحفة، عبر مفاوضات أدارها وزير الخارجية الأمريكي، جيمس بيكر، مع فيصل الحسيني وحنان عشراوي من الجانب الفلسطيني، ومع يتسحاق شمير من الجانب الإسرائيلي، وأفرزت تلك المفاوضات مايلي:

أولاً: رفض أن يأتي الوفد الفلسطيني إلى مؤتمر مدريد، أو إلى مفاوضات واشنطن التي تلت المؤتمر، باسم منظمة التحرير الفلسطينية، وإنما بصفته ممثلاً لـ "سكان المناطق"، أي سكان المناطق المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

ثانياً: رفض أن يضم الوفد الفلسطيني مندوبين من مناطق اللجوء الفلسطيني في البلاد العربية أو الأجنبية، ويعني ذلك أنه لا يمثل اللاجئين الفلسطينيين، ولا يستطيع أن يدعي أنه يمثل الشعب الفلسطيني.

¹ بلال الحسن: علامات الطريق في التفاوض الفلسطيني - الإسرائيلي: نهج الاعتدال الذي لم يثمر، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 84، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت خريف 2010.

ثالثاً: رفض أن يضم الوفد الفلسطيني أي مندوب من مدينة القدس.

رابعاً: رفض أن يأتي إلى المفاوضات كوفد فلسطيني مستقل، وإنما بصفته جزءاً من الوفد الأردني المشترك (وفد مشترك).¹

ومع أن الوفد الفلسطيني الذي تشكل برئاسة الدكتور حيدر عبد الشافي، أعلن منذ اليوم الأول أنه يمثل الشعب الفلسطيني كله، وأعلن في جلسات التفاوض أنه يتلقى أوامره من منظمة التحرير الفلسطينية، إلا إن هذا كله لم يغير من طبيعة شروط التشكيل المفروضة عليه، والتي أوضحت سلفاً طبيعة المدى الذي يمكن أن يذهب إليه الإسرائيليون في المفاوضات، ونوع الحل الذي يتطلعون عليه.

من جهته كان الوفد الفلسطيني يشترط مع كل جولة مفاوضات أن توقف عمليات القمع والقتل والاعتقال في صفوف الفلسطينيين، ثم يصدر بياناً بالانتهاكات الإسرائيلية الجديدة وكان هذان المطالبان يعرقلان مجرى المفاوضات الطبيعي، وقد أثار ذلك احتجاج الإسرائيليين، كما أثار غضب وزير الخارجية الأميركي الذي بادر إلى عقد اجتماع مع الوفد الفلسطيني، طالباً منهم التوقف عن طرح قضايا الاستيطان والقمع، والتركيز على قضايا المفاوضات العملية. وحين رد عليه رئيس الوفد الفلسطيني محتجاً بأنهم لا يقدمون لنا إلا عرض الإشراف على القمامة، رد جيمس بيكر بصلافة: ولماذا لا تبنون على ذلك؟ وبسبب ذلك الجو السائد، وبسبب الرعاية الأمريكية للموقف الإسرائيلي، لم يتح لمفاوضات واشنطن أن تتقدم.²

ثم حدثت المفاجأة المدوية، حين تم إعلان انتهاء مفاوضات كانت تجري سراً في مدينة أوسلو النرويجية بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، وأن تلك المفاوضات أسفرت عن اتفاق مبادئ، وعن اتفاق على إنشاء حكم ذاتي، وعن تحديد قضايا أساسية ستكون مجال

¹ بلال الحسن: علامات الطريق في التفاوض الفلسطيني - الإسرائيلي: نهج الاعتدال الذي لم يثمر، مرجع سابق، ص22.

² المرجع السابق، ص23.

مفاوضات ما سمي الحل النهائي، أو الحل الدائم. وتم تحديد خمسة أعوام كفترة زمنية لتطبيق هذا الاتفاق الذي شكل ضربة إلى مفاوضات واشنطن، وأدى إلى توقفها.¹

وفي مؤتمر مدريد للسلام لم يلاحظ تمثيلاً فلسطينياً مستقلاً، بل كان ضمن وفد أردني فلسطيني مشترك، إضافة إلى أن التمثيل الفلسطيني قد اقتصر على فلسطيني الداخل المحتل بدون القدس والشتات وبدون أية علاقة معلنة مع منظمة التحرير الفلسطينية ويندرج في إطار الوفد الأردني.²

وكان هذا الموقف مدخلاً لتقسيم الشعب الفلسطيني الواحد وإخلاقاً بصيغة تعريف الفلسطيني على المستوى الحقوقي، وتخلياً عن كون منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، وفي 13 أيلول 1993م تم التوقيع على اتفاقيات أوسلو بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني بعد 22 شهراً من انطلاق مسيرة التسوية التي ابتدأت في مدريد عام 1991م، تخللتها إحدى عشرة جولة من المفاوضات الثنائية، وعدة جولات من المفاوضات المتعددة.³

لم يتضمن اتفاق أوسلو اعترافاً فلسطينياً رسمياً بإسرائيل، كما لم يتضمن اعترافاً إسرائيلياً رسمياً بمنظمة التحرير الفلسطينية، وإنما كان الاعتراف كامناً ضمناً في طبيعة المفاوضات وفي طبيعة الوفود، وكان من الممكن لأي منهما أن يذهب إلى تطبيق الاتفاق دون طرح قضية الاعتراف الرسمي والمتبادل، وحين بدأ البحث في حفل توقيع الاتفاق في البيت الأبيض الأمريكي (13-9-1993)، برز موضوع من سيوقع الاتفاق، وفد "سكان المناطق" في واشنطن، أم وفد من منظمة التحرير الفلسطينية التي رعت مفاوضات أوسلو؟⁴

¹ بلال الحسن: علامات الطريق في التفاوض الفلسطيني - الإسرائيلي: نهج الاعتدال الذي لم يثمر، مرجع سابق، ص 23.

² المكتب السياسي للجهة الديمقراطية لتحرير فلسطين: الطريق الوعر، نظرة على المفاوضات الفلسطينية "الإسرائيلية" من مدريد إلى أوسلو، ط1، شركة دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت 1997، ص 60.

³ المرجع السابق، ص 19

⁴ بلال الحسن: علامات الطريق في التفاوض الفلسطيني - الإسرائيلي: نهج الاعتدال الذي لم يثمر، مرجع سابق، ص 23.

هنا أصر ياسر عرفات على أن يكون التوقيع باسم منظمة التحرير الفلسطينية، وهنا أيضاً قالت إسرائيل إن التوقيع بهذه الصفة يقتضي أن تعترف المنظمة رسمياً بها، وأن تعترف هي رسمياً بمنظمة التحرير، وهنا دخل على الخط سراً وزير الخارجية النرويجي يوهان هولست، الذي تنقل بين العواصم، ووصل سراً إلى تونس حاملاً اقتراحاً برسائل يتم تبادلها، سميت "رسائل الاعتراف المتبادل"، وقد وقع عرفات رسالة الاعتراف بإسرائيل بقرار فردي منه، ومن دون أن يطلع أحداً على الأمر، ثم وقعت إسرائيل الرسالة بدورها.

وتضمنت الرسائل تراجعين فلسطينيين كبيرين وخطيرين، نقلا التفاوض الفلسطيني - الإسرائيلي إلى موقع جديد يختلف عن كل ما سبقه، كان التراجع الفلسطيني الأول " الاعتراف بحق إسرائيل بالوجود"، وليس الاعتراف بوجود إسرائيل فقط. وكان التراجع الثاني التعهد بتغيير " الميثاق الوطني الفلسطيني" بما يتلاءم مع الاتفاقات الجديدة، وهو أمر يعني إلغاء الرواية الفلسطينية لتاريخ فلسطين، وإلغاء هدف التحرير، وإلغاء أسلوب التحرير عبر الكفاح المسلح ضد الاحتلال.

وعلى أنقاض هذين التراجعين الخطيرين، ذهب الوفد الفلسطيني إلى البيت الأبيض، ووضع محمود عباس (رئيس دائرة التفاوض في منظمة التحرير الفلسطينية) توقيعاً على اتفاق أوسلو، ودخلت القضية الفلسطينية في إثر ذلك مساراً جديداً، مساراً تنازلياً بالضرورة، وإلى حد لم يكن أحد يتصوره من قبل، وما يستحق التسجيل هنا بصورة خاصة، هو أن قضيتي الاعتراف المتبادل، والاعتراف الفلسطيني بإسرائيل، كانتا بسبب مطلب فلسطيني (من يوقع؟) ولم تكونا بسبب مطلب إسرائيل.¹

2.4 اتفاق أوسلو: متغيرات النهج وإشكاليات التطبيق

لم تكن اتفاقية أوسلو بين منظمة التحرير وإسرائيل مجرد اتفاقية مرحلية، بل كانت نهاية لمرحلة تبني منظمة التحرير للكفاح المسلح بهدف تحرير فلسطين وبداية لمرحلة المفاوضات

¹ بلال الحسن: علامات الطريق في التفاوض الفلسطيني - الإسرائيلي: نهج الاعتدال الذي لم يثمر، مرجع سابق. ص.

والتسوية السياسية، وهنا تحولت الصهيونية وإسرائيل من عدو يجب استئصاله إلى كيان يعترف بشرعيته على 8% من مساحة فلسطين الانتدابية، وكذلك تحول إسرائيل من عدو من وجهة نظر منظمة التحرير إلى محتل لجزء من الأرض وشريك في التسوية السياسية لإقامة الدولة الفلسطينية من خلال المفاوضات، وهذا النهج الجديد أحدث تغييرات عدة في السلوك السياسي لشريحة كبيرة من الشعب الفلسطيني أقت بظلالها على الهوية الوطنية الفلسطينية بمختلف مظهراتها وتكوينها.

فقد أحدثت اتفاقية إعلان المبادئ مجموعة من المتغيرات في السلوك التحرري الفلسطيني، وذلك على صعيدين الأول: هو النهج المتبع في التحرير، الثاني: وهو طبيعة العلاقة مع المحتل، وهذا ما تثبته بنود الاتفاقية والتي اشتملت على مجموعة من البنود ومن أبرزها:

- الاعتراف المتبادل بالحقوق الشرعية والسياسية لكلا الجانبين حكومة دولة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف).
- تحقيق تسوية سلمية عادلة دائمة وشاملة تنهي المواجهة وتؤدي إلى الاعتراف المتبادل والعيش في ظل تعايش سلمي بكرامة وأمن متبادلين.
- تقوم هذه التسوية على أساس قراري مجلس الأمن 242 و338، وتؤدي إلى تطبيق القرارين.
- تطبيق بنود الاتفاقية بالتدرج وفقاً لسياسة الخطوة خطوة، وبالاستناد إلى فترة انتقالية ل تتجاوز الخمس سنوات.

3.4 السلطة الوطنية الفلسطينية: الكيانية الفلسطينية الأولى على الأرض

في عام 1996 جرت الانتخابات الرئاسية والتشريعية، ولم تشارك بها حركة حماس أو قوى اليسار واقتصرت على حركة فتح وبعض المستقلين، وفاز ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بالانتخابات مع استمرار تعثر المسار التفاوضي، مال

الشارع الفلسطيني إلى التشدد وضعف إيمانه بإمكانية تحقيق السلام مع إسرائيل عبر التفاوض الثنائي، وازدادت قوة حركة حماس ومؤيديها في الشارع الفلسطيني.¹

ومع أوسلو دخل النظام السياسي الفلسطيني منعطفاً نوعياً تمثل في قيام سلطة فلسطينية على إقليمها، الأمر الذي جعل الصراع الأساسي يدور حول حدود هذا الإقليم وشكل السيادة الوطنية عليه. ومن التغيرات التي شهدتها هذا التطور على النظام الحزبي:

1- قيادة فتح للسلطة باستخدام آليات متعددة كبناء قوة أمنية، والاستناد إلى قاعدة تنظيمية، وإدارة المواجهة مع الاحتلال.

2- صعود تنظيمات الحركات الإسلامية، وتراجع ملحوظ في تنظيمات اليسار.

3- تشكل النظام الحزبي في هذا السياق من قوى مؤيدة ومشاركة في السلطة الوطنية الفلسطينية مقابل قوى معارضة تأخذ على السلطة عدم شرعيتها وفسادها.²

لم تختزل إشكاليات اتفاق أوسلو في النهج فقط بل كذلك كان التعقيد حليف التطبيق وهذا ما عاظم من الآثار التي تركها الاتفاق وبنوده وما تبعه من اتفاقيات لاحقة على الهوية الوطنية والسلوك الوطني الفلسطيني، فمن جهة فلسطينية كانت مجمل بواعت الفعل السياسي الفلسطيني هادفة إلى تحقيق الهدف السياسي العام، القائم على إقامة الدولة الفلسطينية والتخلص من الاحتلال، أما من ناحية الممارسة الإسرائيلية فقد تركزت مجمل السياسات في تأييد الاحتلال وجعل الشعب الفلسطيني أكثر اعتماداً على الاحتلال مع مرور الزمن.

وهنا نجد أن الحقبة التي امتدت ما بين عام 1993 ولغاية 2000 (حقبة أوسلو)، كانت مزيجاً من هذين الصراعين فهي لم تسر في خط العملية السلمية بالكامل، ولم تأخذ منحى

¹ د. أحمد رأفت غضية: مستقبل النظام السياسي الفلسطيني وعملية المفاوضات في ضوء جمود المفاوضات واحتمالات المصالحة، ورقة بحثية، <https://bit.ly/2KaZTzF>.

² جميل هلال، النظام السياسي بعد أوسلو، مواطن المؤسسة الفلسطينية لأبحاث الديمقراطية، فلسطين رام الله، 1998، ص 93-108.

المقاومة بالكامل وهنا نجد الصراع على القدس (هبة النفق) وكذلك توقف المفاوضات ودخول الحالة الفلسطينية في مرحلة جديدة وهي الانتفاضة الفلسطينية الثانية.

4.3 الانتفاضة الثانية: الصراع في ظل السلطة

لقد اقترنت كلمة الانتفاضة بالنضال السياسي الفلسطيني في القرن العشرين، إلا أنها لقيت رواجاً عالمياً لفظاً بالعربية " Intifada " خلال العقدين المنصرمين، بحيث أصبحت للفلسطينيين " طريقة حياة وطريقاً للحياة"، وهي ظاهرة فلسطينية ديموقراطية شعبية، ونتاج تراكمات نضالية كمية ونوعية ترتبط بالتحرك الجماهيري الشامل، ومدرسة جديدة في النضال الفلسطيني.¹

وقد تأخذ الانتفاضة طابع المقاومة المسلحة وهو ما يميز انتفاضة الأقصى 2000، حيث تمت عسكرة الانتفاضة باستخدام السلاح الناري، والقيام بعمليات استشهادية ضد الاحتلال الإسرائيلي، تأكيداً للحق في استخدام العنف الثوري الذي يعتبر جزءاً مهماً من الكفاح الوطني لنيل الاستقلال، أجازته الشرائع السماوية والمواثيق الدولية.²

جاءت الانتفاضة الثانية بعد ما يزيد على تسعة أعوام من عقد مؤتمر مدريد " للسلام في الشرق الأوسط "، وبعد سبعة أعوام من اتفاق أوسلو ومفاوضات مباشرة مع إسرائيل وهي مفاوضات سعت ولا تزال، لفصل "السلام" عن السياق التاريخي للنضال الفلسطيني. لقد جاء اتفاق أوسلو بعد انتفاضة طويلة بدأت في نهاية سنة ١٩٨٧، وبعد تحولات إقليمية وعالمية درامية، وهو اتفاق أقرت فيه إسرائيل، لكنه لم يشمل الإقرار بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والاستقلال، وتبع اتفاق أوسلو مواصلة إسرائيل فرض شروط تقييدية ومذلة على حياة فلسطينيي الضفة الغربية وقطاع غزة اليومية، مع استثناءات لقلّة من أصحاب الامتيازات.³

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص 89.

² المرجع السابق، 90.

³ جميل هلال: انتفاضة الأقصى، الأهداف المباشرة ومقومات الاستمرار، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 11، العدد

44 خريف 200، <https://bit.ly/2Ojth8f>.

كان دخول شارون ساحة المسجد الأقصى يوم 2000/9/28، وراء اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية بعد سبع سنوات من توقيع اتفاقية إعلان المبادئ في أوسلو مع منظمة التحرير بينما وجدت أسباب غير مباشرة ورئيسية، كاستمرار الاستيطان ومن الأسباب الأخرى لاندلاع الانتفاضة فشل اتفاقية أوسلو في توفير الأمن والسلام وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة خلال سبع سنوات سبقت الانتفاضة، وبالمقابل فقد شكّل فشل محادثات كامب ديفيد الثانية في شهر تموز (يوليو) عام 2000، سبباً قوياً لاشتعال الانتفاضة الثانية.¹

اشتعلت الانتفاضة الجديدة على أرضية انكشاف، في مفاوضات قمة كامب ديفيد الثانية في شأن التسوية النهائية، عقم مفاوضات تقوم على افتراض أن الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ سنة 1967 هي أراضٍ متنازع في شأنها، واعتبارها، في أحسن الأحوال، مجال صراع بين حقين متساويين يستوجب تنازلات متبادلة. ومن هنا، لم يجد رئيس الحكومة الإسرائيلية حرجاً في أن يطرح في قمة كامب ديفيد الأخيرة، السيادة الإسرائيلية على الحرم القدسي ولا ما يمنع أريئيل شارون، بكل ما يحمله في الذاكرة الفلسطينية من جرائم حرب بشعة، من زيارته للمكان تأكيداً لمطلب السيادة الإسرائيلية، إذاً الانتفاضة جاءت بعد فشل مفاوضات دامت سبعة أعوام في دفع إسرائيل إلى القبول بمصالحة تاريخية استناداً إلى حق الشعب الفلسطيني في الاستقلال والإنصاف أسوة بشعوب العالم الأخرى، وعلى نقيض ذلك واصلت المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة إدارة مفاوضات عبثية، ورسم معالم تسوية تقوض المشروع الوطني الفلسطيني على أرض الواقع.²

أدت انتفاضة الأقصى إلى تدمير البنية التحتية للسلطة الوطنية الفلسطينية والشعب الفلسطيني، وعمقت حالة الانقسام الداخلي حول الأدوات المستخدمة في الانتفاضة، إضافة إلى عسكرة الانتفاضة واستخدام السلاح الناري.³

¹ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص 90.

² جميل هلال: انتفاضة الأقصى: الأهداف المباشرة ومقومات الاستمرار، مرجع سابق.

³ المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، مرجع سابق، ص 91.

وتميزت الانتفاضة الفلسطينية الثانية، مقارنةً بالانتفاضة الأولى، بكثرة المواجهات وتساعد وتيرة الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي، وتعرضت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلال انتفاضة الأقصى لاجتياحات عسكرية، وتدمير لآلاف المنازل والبيوت، وتجريف آلاف الدونمات الزراعية، وشهدت الانتفاضة إقدام إسرائيل على اغتيال قيادات سياسية وعسكرية فلسطينية من جميع الأحزاب الفلسطينية، ومع كل عملية اغتيال كانت حدة المواجهات تزداد، وتصدّ المقاومة من عملياتها العسكرية داخل دولة الاحتلال.¹

وكان اغتيال وزير السياحة في الحكومة الإسرائيلية رحبعام زئيفي على يد مقاومين من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أحد أهم الأحداث التي شهدتها الانتفاضة، وتوقفت انتفاضة الأقصى فعلياً بعد أشهر قليلة على وفاة الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، ففي 8 فبراير/ شباط 2005، وقع الرئيس الفلسطيني محمود عباس الذي كان قد انتخب حديثاً اتفاق هدنة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون في شرم الشيخ المصرية وأسفرت الانتفاضة الثانية عن استشهاد 4412 فلسطينياً و48322 جريحاً، فيما قتل 1069 إسرائيلياً وجرح 4500 آخرون.²

لم تكن الانتفاضة الثانية حدثاً عابراً في التاريخ السياسي الفلسطيني، بل هي شكلٌ من أشكال انضغاط الزمن، جرى من خلاله تكثيف عنفوان الهوية، وتعبئة الفلسطينيين سياسياً على نحو لم يسبق له مثيل. إنه حدثٌ قاد إلى تحولاتٍ قيمية عميقة في المجتمع الفلسطيني، وفرض لغته على الشارع، وخلخل بنية المؤسسة السياسية الفلسطينية، وشكل السياسة الفلسطينية إلى الأبد، لم تكن الانتفاضة المواجهة الأولى التي يخوضها الفلسطينيون ضد الاحتلال الإسرائيلي، كما لم تكن الأخيرة، لكن ما ميّزها عن غيرها أنها شكّلت ذروة العمل النضالي الذي جمع فيه الفلسطينيون خلاصة الخبرات الميدانية التي راكموها من تجربة الكفاح المسلح في لبنان، والتي استندت أساساً إلى حرب العصابات، ومن تجربة الانتفاضة الأولى التي ارتكزت على نحو أساسي على المقاومة الجماهيرية شبه السلمية والتضامن المجتمعي الواسع.³ ما جعل الانتفاضة

¹ الانتفاضة الفلسطينية الثانية، موقع العربي الجديد، <https://bit.ly/2phe6nq>.

² المرجع السابق.

³ هاني عواد، كيف خطط عرفات للانتفاضة الثانية، موقع متراس، <https://bit.ly/2KeOjUf>.

الثانية مختلفة عن المواجهات السابقة (معركة الكرامة، وحصار بيروت، والانتفاضة الأولى)، هو أنها بقيت حبيسة مقيدات "أوسلو"، ويُمكن اعتبارها بمثابة فترة وسيطة بين مرحلتين ضمن إطار عملية "أوسلو"، المرحلة الأولى هي نتاج مباشر لاتفاقية "أوسلو"، وما تبعها من عودة القيادة المتنفذة لـ "منظمة التحرير"، وكوادر "حركة فتح" في الخارج، لوضع لبننة مؤسسات الحكم الذاتي المعروفة دولياً باسم "السلطة الفلسطينية". أما المرحلة الثانية فهي مرحلة ما بعد عرفات، التي اختبرت إعادة بناء السلطة بشروط إسرائيلية ودولية أشد قسوة، وتمادي قيادة السلطة في رضوخها، وازدراءها لأبجديات الحق الفلسطيني.¹

تري الباحثة أن انتفاضة الأقصى عام 2000، كانت حسم ورد فعل وغضب شعبي طبيعي على استمرار الاحتلال في إذلال الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة وفصلهم وتقطيع أوصالهم حيث تميزت انتفاضة الأقصى بكثرة المواجهات اليومية المباشرة بين الفلسطينيين وجيش الاحتلال الإسرائيلي، إضافة إلى تصاعد وتيرة الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال، الانتفاضة الثانية إذا ما قورنت بالانتفاضة الأولى فقد تميزت في تطور أدوات المقاومة وتصاعد العمليات العسكرية.

كان هذا نتيجة عقم المفاوضات وفشل تطبيق أوسلو على أرض الواقع وعدم الوصول لتفاهات حقيقية حول قضايا التسوية النهائية وفي ظل استمرار بناء المستوطنات واستبعاد عودة اللاجئين واستبعاد الانسحاب لحدود حزيران 1967، فكانت ترسيخ فعلي جديد للهوية الوطنية الفلسطينية والعودة للنضال الشعبي المقاوم، بسبب عدم التزام الطرف الإسرائيلي بل والتضييق على الشعب الفلسطيني والاستمرار في تعنته وعدوانيته.

5.4 آثار اتفاق أوسلو على الهوية الوطنية الفلسطينية

على الرغم من الجدل الداخلي الفلسطيني فيما يتعلق بمدى التأثير الذي أحدثه اتفاق أوسلو على الهوية الوطنية الفلسطينية ما بين من يرفض أن يعتبر أن الاتفاق أثر في الهوية

¹ طارق دعنا، الانتفاضة الثانية وأعداؤها، موقع متراس، <https://bit.ly/2Oa8gfS>.

الوطنية كون الفلسطينيين مازالوا لغاية يومنا هذا معبرين بوضوح عن هويتهم الوطنية وأن مجمل ما يتم الحديث عنه من متغيرات هو لا يتعدى البعد السياسي، إلا أنه بعد مرور ربع قرن على توقيع اتفاقية أوسلو وبالرغم من الاعتراف العلني لكلا الطرفين بفشل هذه الاتفاقية، إلا أن مخرجات هذه الاتفاقية لازالت تحكم العلاقة بين إسرائيل والفلسطينيين من جهة، وبين الفلسطينيين أنفسهم من جهة أخرى، كما أنه لا يمكن إنكار حجم التأثيرات التي تركها اتفاق أوسلو على الهوية الوطنية الفلسطينية سواء ببعدها السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو ببعدها الثقافي، وهذا ما ستقوم عليه جزئيات هذا الفصل من خلال مناقشة أبرز الآثار التي تركها الاتفاق على هذه المكونات الثلاث سواء في شكلها أو في مكوناتها، ولجأت الباحثة إلى إجراء مجموعة من المقابلات المعمقة مع ذوي الشأن لتعميق مدى الإدراك حول هذه القضايا الثلاث، وكيف تنتظر قطاعات النخبة الفلسطينية المختلفة لهذه التأثيرات.

6.4 تأثيرات اتفاق أوسلو على الهوية الوطنية الفلسطينية في سياقاتها السياسية

1.6.4 إشكاليات التجزئة والوحدانية

فقد قسمت اتفاقية أوسلو الشعب الفلسطيني إلى ثلاث مناطق: فلسطينيو الخارج، وفلسطينيو الداخل، وفلسطينيو ال 48، والاتفاق أخرج فلسطينيو 48 من دائرة الفعل الفلسطيني، كذلك قادت تطبيقات الاتفاق إلى محاولة ترسيخ ان الفلسطيني هو فقط الفلسطيني الذي يعيش في الضفة الغربية وقطاع غزة وكذلك الأرض الفلسطينية حيث اعتبرت أن الأرض الفلسطينية هي فقط الضفة الغربية وقطاع غزة حتى أنه في بعض الأدبيات درج مصطلح الأراضي الفلسطينية للتعبير عن الضفة الغربية وقطاع غزة وكأنها هي فقط فلسطين هذا من ناحية، أما من ناحية ثانية فقد أصبح الثقل شيئاً فشيئاً يسير لصالح السلطة على حساب المنظمة وهنا - واقعياً - فقد الفلسطينيون في الخارج الغطاء السياسي لهم.

وهذا ما أكد عليه صالح مشاركة حيث يرى أن اتفاق أوسلو أضعف مكانة منظمة التحرير لصالح السلطة الفلسطينية، هذا جعل خمسة ملايين فلسطيني في المنفى يتراجعون في دعمهم لمنظمة التحرير ويشككون في شرعيتها، وأعتقد أن هذا التراجع مؤقت بسبب انشغال

منظمة التحرير في فكرة الدولة ونسيان فكرة الهوية، فأوسلو أسس لمشروع إداري ومالي ينحصر على الضفة وغزة، وخسر الأراضي المحتلة عام 48 وفلسطيني الشتات، وبالتالي فإن الكتلة الفلسطينية الكاملة الآن متصدعة، رغم توحد أهدافها وثوابتها وأحلامها، لكن أدواتها في العمل متفرقة ومشاريعها السياسية متنافرة ومتصارعة.¹

أما دكتور خالد جبر فيعتبر أن منظمة التحرير الفلسطينية حين نشأت كانت مظلة لجميع الفلسطينيين، في الداخل المحتل وفي الضفة وغزة، كما في الشتات أيضاً، لكن اتفاق أوسلو حصر الوجود الفلسطيني في الضفة وغزة، ونشوء السلطة الفلسطينية في هذه المناطق فضلاً عن تأسيس مؤسسات للسلطة تحكم الحياة المدنية في مناطقها، قسم الشعب الفلسطيني أقساماً:

- 1- الفلسطينيون الذين يعيشون في ظل السلطة الفلسطينية في الضفة والقطاع.
- 2- وأولئك الذين يعيشون في الداخل المحتل سنة 1948م، وقد أخرج هؤلاء من المعادلة رسمياً بموجب الاعتراف بالكيان المحتل وحدوده وهويته.
- 3- واللاجئون والنازحون من الذين يعيشون في المنافي والشتات، وهؤلاء أُرجئت قضيتهم إلى مفاوضات الحل النهائي، بمعنى أنهم أُخرجوا من المعادلة مؤقتاً، وأُضيفَ على وضعهم صفة قانونية شبه مستقرة.²

أما مجد أبو عامر فيقول أن اتفاقية أوسلو أثرت سلباً على مفهوم الوطنية الفلسطينية حيث مثل أوسلو صدمة للشعب الفلسطيني، وذلك باعتراف المنظمة بحق إسرائيل في الوجود على 78% من أرض فلسطين، فهو ضربة للوعي الجمعي الفلسطيني، فقد كسر الاتفاق محرماً في الإجماع الوطني، حيث أصبحت فلسطين من الناحية القانونية بعد أوسلو، تشمل 22% فقط من أرض فلسطين الانتدابية، بل أقل من ذلك بكثير، حيث شملت فلسطين في زمن ما شرق الأردن أيضاً، وهذه فلسطين بحدودها المعروفة، والتي أصبحت خريطة تُعلق في الصدور، باتت

¹ صالح مشاركة: مقابلة شخصية، صحفي فلسطيني ومحاضر في مركز الإعلام بيرزيت، 2019/7/24.

² خالد جبر: مقابلة الكترونية، أكاديمي ومنسق دائرة التحرير في معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، 2019/9/13.

بعد أو سلو محل سؤال، فلسطين الوطن أصبحت مشوهة من الناحية الوطنية، بل إن ما تبقى من الأرض بعد الاعتراف، هو ليس فلسطين، بل مناطق متنازع عليها تحسمها المفاوضات، لا شك أن تفسير منظمة التحرير مختلف، فهي تعتبر أنها لم تتنازل عن شيء، طالما تتمسك بحق عودة اللاجئين الفلسطينيين، وفق القرار الأممي 194.¹

في حين يعتبر الأكاديمي هاني عواد أن اتفاقية أو سلو هي اتفاقية سياسية أصبحت من الماضي بعد أن انقلبت إسرائيل عليه وهي مسؤولة فقط عن إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية، ولا يمكن إيجاد أي رابط واضح بين أو سلو والهوية الفلسطينية، فالهوية لا تتأثر باتفاقيات أو حوادث معينة بل هي نتاج صيرورة تاريخية وسياسية واجتماعية.²

في السياق ذاته يشير خالد الحروب أن اتفاقية أو سلو تركت تأثيرات سلبية مهمة على الهوية الجمعية الفلسطينية، لكن لا تصل هذه التأثيرات إلى مستوى تهديد تلك الهوية.³

وفي الوقت الذي يعتبر فيه عواد أن الهوية لم تتأثر بالاتفاقية، ويوافقه الحروب إلى أن تأثير أو سلو لم يصل إلى مستوى تهديدها أيضاً، يرى دكتور حسن أيوب أن المشروع السياسي للأوسلويين إن صح التعبير أدخل تغييراً جوهرياً على مكونات وخصائص الهوية الوطنية الفلسطينية في حيز جيو-سياسي وقانوني وقيمي جديد تماماً، ويمكن اعتباره امتداداً غير منضبط أو منفلت للبرنامج المرحلي للمنظمة في العام 1974.⁴

بينما يعتبر صالح مشاركة أن اتفاقية أو سلو محاولة للحل فهي برأيه اتفاق سياسي كان محاولة فلسطينية للعودة فصارت بعد اتفاقية أو سلو عودة جزئية ومحاولة لبناء دولة وهذه المحاولة مازالت مستمرة تفشل أحياناً وتنجح أحياناً أخرى، أما الهوية الوطنية الآن تحت ظرف

¹ مجد أبو عامر: مقابلة إلكترونية. باحث في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، معهد الدوحة للدراسات العليا، 2019/7/15.

² هاني عواد: مقابلة إلكترونية. باحث في المركز العربي للأبحاث، 2019/7/6.

³ خالد الحروب: مقابلة إلكترونية. كاتب وأكاديمي محاضر في جامعة نورث وسترن في قطر، 2019/8/8.

⁴ حسن أيوب، مقابلة شخصية. دكتور سياسية دولية وسياسات مقارنة في جامعة النجاح الوطنية، باحث ومحلل في الشأن الفلسطيني. 2019/9/15.

تاريخي صعب اسمه الاحتلال وهذه الهوية تقاوم وتسعى للتحرر وهذه أفضل المراحل لبناء الهوية.¹

وهو ما يؤكد نادر داغر حيث يرى أن اتفاقية أوسلو كانت محاولة لحل مجزوء، ولكنه يعتبرها جزأت الشعور العام بوحدانية المصير، كما أن اتفاقية أوسلو برأيه لم تؤسس لسلطة وطنية تُمثل الكل، ولكنها سلطة فوق جزء من الأرض، ولا تسيطر عليه.²

وتكمن المشكلة الجوهرية في رأي الباحث محمد العيلة أن الاتفاقية قسمت الشعب الفلسطيني إلى قسمين مع أو ضد، أو إلى برنامجين، برنامج التحرير عبر المقاومة، أو الاستقلال بالمفاوضات، وهذه المسألة ضربت الوحدة السياسية للشعب، كما أن تمثيل السلطة الفلسطينية لفلسطينيي الضفة وغزة دون فلسطينيي الداخل والشتات والقدس وزيادة دور السلطة على حساب م.ت.ف قاد إلى نشوء هويات فرعية داخل الهوية الأم، وعمق الشرخ الفلسطيني.³

أما دكتور خالد الحروب فيشير إلى أن أهم تأثير سلبي لاتفاقية أوسلو جاءت من زاوية تفتيت بوصلة المقاومة التي كانت وما زالت أحد أهم مرتكزات الهوية الفلسطينية، وليس المرتكز الوحيد حيث تشكل مقاومة المحتل الكولونيالي في أي حركة تحرر وطني محورا أساسياً تلنقي عليه الشرائح المجتمعية على تعدد خلفياتها، والتقاء هذه الشرائح على قاعدة المقاومة يعمل على تمتين وترسيخ الإحساس بالهوية الجمعية ذات الهدف المرحلي الواضح، فبعد التحرير تتقوالب الهوية الوطنية في شكل الدولة المستقلة وتأخذ أشكالاً أخرى مستقرة أو متغيرة، لكن في إطار الاستقلال، مخاطر أوسلو من هذه الزاوية تأتي من ناحية التفريط بمرتكز المقاومة الجامع والذي يحقق متانة في الهوية الوطنية قبل تحقيق الاستقلال.⁴

¹ صالح مشاركة: مقابلة إلكترونية، مرجع سابق.

² نادر داغر: مقابلة شخصية. باحث ومحاضر في العلاقات العامة، مدير العلاقات العامة مؤسسة عبد المحسن قطان، 2019/7/15.

³ محمد العيلة: مقابلة إلكترونية. باحث في العلوم السياسية، 2019/8/29.

⁴ خالد الحروب: مقابلة إلكترونية. مرجع سابق.

بينما يعتبر دكتور يوسف عبد الحق أن خطر اتفاقية أوسلو على الهوية الجمعية الفلسطينية تأتي من باب تأثير السقوط السياسي لقيادة الرئيس ياسر عرفات في مخطط أوسلو، مما أدى إلى تآكل الحركة الوطنية الفلسطينية وانقسامها المدمر، وهو في النتيجة ما انعكس سلباً على قناعات الكثيرين من شعبنا بالنضال الوطني الذي ينهشه الانقسام والفساد والاستبداد، وهو ما أدى إلى ضعف الهوية السياسية.¹

ويبرز عزيز المصري أثر اتفاقية أوسلو على الهوية الجمعية للشعب الفلسطيني من ناحية تعزيز الهوية الفلسطينية داخل الأراضي الفلسطينية، بمعنى أنها أوجدت نظاماً سياسياً يعبر عن الهوية الفلسطينية والشخصية الفلسطينية وهذا مطلوب. أما الجانب الثاني في اتفاقية أوسلو فقد أخرجت باقي التجمعات الفلسطينية في الشتات والداخل المحتل من الهوية السياسية للنظام السياسي القائم وفق أوسلو، خاصة في ظل تهميش دور منظمة التحرير وغياب دورها تجاه فلسطيني الشتات والداخل المحتل.²

ويكمن الأثر الأخطر في أوسلو على الهوية الوطنية الفلسطينية كما يراه معز كراجة، أنه مثل بداية مرحلة تفكك الحركة الوطنية، وتفكك برنامجها الوطني، ودخول مرحلة النيوليبرالية التي تعزز الحضور الفردي والهم الفردي على حساب ما هو جمعي. فأوسلو قد تسبب في ضعف وغياب منظمة التحرير، لصالح حضور وهيمنة السلطة الفلسطينية، والسلطة قانونياً لا تمثل إلا سكان الضفة الغربية وقطاع غزة، وهو ما ترك أثراً قانونياً وسيكولوجياً واجتماعياً على فلسطيني أراضي 48 والشتات. كما استبدل أوسلو الخطاب الوطني الجمعي القائم على ضرورة التحرير ووحداية الوطن، بخطاب مشرذماً مناطقياً طبقياً، وهذه عوامل أفرزتها اتفاقية أوسلو وهي في محصلتها أدخلت الهوية الوطنية في مرحلة تفكك بعد أن كانت في مرحلة تبلور وتطور.³

¹ يوسف عبد الحق: مقابلة شخصية. حقوقي ومحاضر في جامعة النجاح الوطنية، 2019/7/16.

² عزيز المصري: مقابلة الكترونية. باحث في تاريخ القضية الفلسطينية، 2019/7/21.

³ معز كراجة: مقابلة الكترونية. كاتب صحفي وأستاذ الإعلام في جامعة بيرزيت، 2019/8/31.

على الصعيد السياسي ترى الباحثة أن منظمة التحرير وفصائلها واجهت تقلبات من السبعينات بدءاً من التحول في برنامج النقاط العشرة عام 1947، وصولاً إلى التسعينات حتى اتفاقية أوسلو عام 1994، نتيجة تقلبات الوضع الإقليمي والدولي، مما أدى إلى تراجع المنظمة عن أهدافها ومنطلقاتها وميثاقها الوطني وعدم تمثيلها للكل الفلسطيني، فقد أحدث توقيع اتفاق أوسلو أزمة في المشروع الوطني الفلسطيني، حيث حول مسار المشروع الوطني من حركة وطنية جامعة للكل الفلسطيني وتسعى للنضال والتحرر من براثن المحتل إلى سلطة وطنية على جزء من الأرض بدلاً من الوطن الكامل، عدا عن التهميش الواضح لباقي القوى والفصائل الوطنية قبل التوقيع والتي عارضت الاتفاق فيما بعد، ومن أهم تبعات هذه الاتفاقية على منظمة التحرير فيما بعد أن اتفاق أوسلو قزّم دورها وأفرغها من محتواها وشطبها وغيبها على حساب السلطة الوطنية الفلسطينية، بل إنه ومع نشوء السلطة الفلسطينية وكنتيجة طبيعية تم فرز القوى الوطنية الفلسطينية إلى قوى حكم وقوى معارضة (مع العلم أن كلاهما تحت الاحتلال) وهنا بدأ الصراع بين القوتين يأخذ منحى متعدد الإتجاهات وكان أسوء ما في هذا الصراع هو ما دار حول العلاقة مع الاحتلال، وهذا اثر بشكل كبير في الهوية الوطنية الفلسطينية الجامعة،

منطقياً أن علاقة القوى السياسية الواقعه تحت الاحتلال تقوم على افتراض أن التناقض الأوحد يتجه نحو الاحتلال وباقي التناقضات هي ثانوية ولا تتعدى البرامج الإجتماعية والإقتصادية المختلفه، إلا أن حقبة أوسلو جعلت بوصلة التفاوض هي العلاقة مع الاحتلال، وهذا أثر بشكل كبير في مستوى شدة التنافس الفلسطيني - الفلسطيني، وبالذات في ذهنية الأجيال التي ترعرعت في ظل اوسلو.

كذلك نجد التأثير المهم في غياب فلسطيني الخارج وفلسطيني الداخل المحتل (فلسطيني 48) عن المشروع الوطني بالمعنى الرسمي والفعلي، صحيح أنه لا يمكن الحديث أن هناك انفصال تام، ولكن الهوية الوطنية الجامعة والقائمة على مأسسة العمل الوطني ونتيجة لغياب الدور المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الوطن المعنوي للشعب الفلسطيني، حال دون تبلور وتطور عمل الكُل الفلسطيني في سياق إنتاج المشروع الوطني الجامع.

2.6.4 النخب الفلسطينية بعد أوسلو

إن اتفاقية أوسلو أفرزت بنية سياسية جديدة مشوهة، حيث طرأت تغييرات على النخب الفلسطينية جراء الاتفاق وأن نظام السلطة الوطنية قد حوّل هذه النخب الوطنية إلى موظفين يعملون لحساب السلطة الفلسطينية، على سبيل المثال نخبة منظمة التحرير والتي تمثّلت في الثوار أي النخب المناضلة، نخبة الثورة الفلسطينية، وأعضاء المنظمة في الخارج والذين أطلق عليهم فيما بعد العائدين، ونخبة فتح والتي تماهت مع السلطة الوطنية وأسلو والذين أصبحوا نخب رسمية تعمل في الأجهزة الأمنية والعسكرية للسلطة، حيث تشكلت هذه النخبة السياسية الفلسطينية الجديدة بسماتها ومواصفاتها الخاصة واختلفت أدواتهم من أدوات النضال إلى السلطة ومن الثورة إلى شبه الدولة ومن الكفاح إلى الهدنة والتعايش مع الاحتلال.

بداية الثمانينات وتحديداً مع الانتفاضة الأولى ظهرت قوى فاعلة في الساحة الفلسطينية متمثلة بحركتي حماس والجهاد الإسلامي دون أن يكون لها تمثيل في منظمة التحرير واللجان عارضتا اتفاق أوسلو، لكن بعد أن خاضت حركة حماس انتخابات المجلس التشريعي عام 2006 وشكلت الحكومة الفلسطينية العاشرة والحادية عشر أدخلت نخبة رسمية جديدة غير مرحب بها من قبل نخب أوسلو التقليدية التي احتكرت السلطة، مما خلق أزمة داخل النظام السياسي الفلسطيني والتي أصبحت تتمثل فيما بعد في نخبة المعارضة جراء الانقسام الفلسطيني، عدا عن تهميش نخبة الشتات ونخبة فلسطيني الأراضي المحتلة عام 1948، وبالتالي انحسرت النخب فقط في أراضي السلطة الفلسطينية، النخبة الفلسطينية بعيداً عن تقسيمها الزمني هي أيضاً مشتتة جغرافياً وأزمة النظام السياسي الفلسطيني يتجلى تأثيره بوضوح على النخب وبالرغم من أن التبدل لم يشمل كل هذه النخب إلا أن النظام ألغى وأقصى بعض النخب على حساب نخب أخرى.

وعند الحديث عن الآثار التي تركها أوسلو على النخب الفلسطينية يرى مشاركة أن أوسلو أوقف قدرة هذه النخب على اقتراح البدائل لأنّ الاتفاق كان محطة كبيرة أنزلت الفلسطينيين من طابق الثورة إلى طابق الدولة بأسئلة جديدة وأدوات جديدة لم تعتد النخب على

التعامل معها، وأصبحت بصدمة جراء الانشغال بالمطالب اليومية للفلسطيني على حساب المطالب التاريخية، بالإضافة إلى أنها أنتجت فكراً سياسياً جديداً يقوم على الحياة اليومية ومتطلباتها وليس على الأيدولوجيا، ويرجع مشاركة أن السبب كله ليس في تراجع الفصائل أو النخب بل أن أوصلو تتحمل جزء من المسؤولية لأنها لم تنجح في إصلاح مطباتها ولا في اقتراح بدائل عنه.¹

يشير محمد العيلة أن أبرز أثر لأوصلو على النخب هو تأثير رأس المال الاجتماعي الفلسطيني كون النخب الفلسطينية بعد أوصلو مالت إلى تغليب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، ونشأت طبقة من النخب التي ترتبط مصلحياً بالاتفاق، وكذلك نشوء علاقة بين رجال الأعمال والنخب الأمنية والسياسية في السلطة الفلسطينية الذين حولوا السلطة إلى أداة لتحقيق مصالح اقتصادية خاصة، في المقابل تحولت الشريحة الأكبر من النخب من نقد الواقع إلى تبرير الواقع وكأداة في يد السلطة الحاكمة.²

ويبرز دكتور عبد الهادي العجلة آثار أوصلو في النخب كما يلي:

1- غياب النخب الفلسطينية الحقيقية من الواجهة الاجتماعية والسياسية والثقافية وتوجههم للعمل في مؤسسات دولية ومؤسسات مجتمع مدني مدعومة دولياً، مما خلق طبقة جديدة من الفلسطينيين مرتبطين بعملهم المرتبط بأجندات وبرامج ليست نابعة من داخل المجتمع وحاجاته.

2- تعزيز الانقسام بين النخب حيث أدى أوصلو إلى تشكيل نخب مزورة وأشباه مثقفين تابعين للسلطة ومدعومين منها، أثرت بشكل كبير وسلبي على الحياة الثقافية والاجتماعية في فلسطين.

¹ صالح مشاركة: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

² محمد العيلة: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

3- تسليع الثقافة النخبوية وغياب المثقف الحقيقي المنخرط مع هموم شعبه ومجتمعه، من خلال تحبيدهم وتشثيت العمل التطوعي لصالح العمل المدفوع.¹

ويتوافق رأي دكتور خالد الحروب مع رأي دكتور عبد الهادي العجلة حيث يرى أن بعض النخب مثلاً تم احتواؤها من قبل السلطة وفقدت تأثيرها تماماً على المستوى السياسي، وبسبب فقدان رأسمالها السياسي ومصداقيتها فإن تأثيرها الاجتماعي انخفض الى حدود دنيا، نخب أخرى استقالت عملياً من الفعل السياسي واختارت بنفسها مجالات أخرى مثل الثقافة والفن، وهناك شرائح ثالثة استقالت عملياً نتيجة انخراطها في عمل المنظمات غير الحكومية (سواء المدعومة من الخارج، أو المحلية) ورضيت بمستوى من خداع الذات ينطلق من أن العمل في هذه المنظمات هو بديل عن العمل السياسي المباشر، وهناك نخب ظلت في قلب العمل السياسي تعارض أوسلو وتشتغل في المساحة المتاحة على ضيقها.²

أما الدكتور عدنان ملحم فقد اعتبر أن اتفاق أوسلو أولاً: حول النخب إلى أبواب أو شاهدي زور لمشروع أوسلو وسلبت منهم عمق التفكير والتأثير وأدخلتهم في اصطافات مؤيدة إلى رموز النظام السياسي، وخفضت من أفق آمالهم وأطروحاتهم الفكرية وثانياً أنهت أوسلو عصر النخب والمفكرين ونظمتهم في كبتونات المصالح والارتباطات الخاصة والضيقة، وثالثاً أوسلو عصارة المصالح وزواج سدنة الحركة الوطنية الفلسطينية التاريخيين من رأس المال والنفوذ.³

في حين يرى الباحث مجد أبو عامر أن أبرز آثار لأوسلو على النخب كان تآكل الحركة الفدائية المسلحة وتحولها إلى النضال الجماهيري، وانتهى عصر النخب التقليدية وأفرزت الأحداث نخب جديدة ما بعد أوسلو.⁴

¹ عبد الهادي العجلة: مقابلة الكترونية. أكاديمي وباحث، مدير تنفيذي لمعهد دراسات الشرق الأوسط في كندا، 2019/6/16.

² خالد الحروب: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

³ عدنان ملحم: مقابلة شخصية. أكاديمي ومحاضر في التاريخ جامعة النجاح الوطنية، 2019/9/9.

⁴ مجد أبو عامر: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

أمّا عزيز المصري فيعتبر أن اتفاقية أوسلو أضعفت النخب السياسية المعارضة فأصبحت شبه معزولة عن الحياة السياسية و ذات تأثير ضعيف، على سبيل المثال الدكتور حيدر عبدالشافي الذي وجد نفسه خارج السياق السياسي بعدما وقعت اتفاقية أوسلو دون علمه في وقت كان يفاوض في واشنطن في المفاوضات المتعددة الناتجة عن مؤتمر مدريد وفي ظل عدم تأقلمه مع واقع السلطة قدم استقالته من رئاسة المجلس التشريعي بعد عامين، هذا مثال لجزء من النخبة الفلسطينية التي اصابها اليأس من الواقع السياسي لاتفاق أوسلو وعمل السلطة الفلسطينية.

ثانياً: النخبة السياسية والثقافية انقسمت على نفسها، بعضها تصلب في المعارضة والبعض الآخر إنجرّ إلى مهادنة السلطة والتعامل مع إفرازات اتفاقية أوسلو، مما سبب انقسام في المشهد الثقافي والأدبي والسياسي المستقل إن جاز التعبير.

ثالثاً: أنتجت اتفاقية أوسلو ما يعرف بنخبة السلطة الفلسطينية والتي أخذت علي عاتقها الترويج والتماهي في مؤسسات أوسلو.

رابعاً: السياق التاريخي لدور النخب الفلسطينية لم يكن مشجعاً لظهور نخبة سياسية وثقافية قادرة علي تكوين جبهة تواجه إفرازات أوسلو في مجالاتها المتعددة، فهي منقسمة منذ ظهور الحركة الوطنية الفلسطينية في عشرينيات القرن الماضي وحتى اليوم.¹

ويرى دكتور هاني عواد أن أوسلو بحد ذاته لم يترك أثراً معيناً، لكن إنشاء السلطة الفلسطينية أدى إلى تشكيل بنية اجتماعية وسيطة بين إسرائيل والمجتمع الفلسطيني وتحويل حركة التحرر الوطني إلى مجموعة من الأجهزة البيروقراطية والأمنية، التي ترى أن دورها هو الإدارة لا التحرير، ولكن حتى هذه النخب فهي ضعيفة وغير راضية عن الدور الذي تؤديه الآن على المستوى البنوي، هنالك حالة من التشويه التي حصلت على مدار ما يقارب الثلاثة عقود والتي أدت إلى أشكال مختلفة من الفساد والانهيال الأخلاقي والتكيف، ولكن من الصعب تحديد مدى حجمها أو نفوذها.²

¹ عزيز المصري: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

² هاني عواد: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

بينما يرى دكتور حسن أيوب أن اتفاقية أوسلو قد أحدثت إعادة ترتيب للنفوذ وجلبت معها طيفاً واسعاً من النخب والأدوار التي لم تكن موجودة لولا ترتيبات أوسلو: المناصب العليا في السلطة وإداراتها، القادة الأمنيين، راس-المال، المنظمات غير الحكومية، مواقع الاتصال والتنسيق مع أجهزة وإدارات الاحتلال، لم تعد قاعدة التعبئة والحشد مفتوحة أمام القوى فقد ارتبطت المصالح المباشرة للجمهور بهذه الترتيبات الجديدة وليس بالقوى الحزبية التي تعمل من خارج هذه الترتيبات، قبل أوسلو فإن صفة أخ أو رفيق، أو مكانة هذا الأخ أو الرفيق في منظمة التحرير تشكل نفوذاً أخلاقياً هو السائد في التراتبية السياسية-الوطنية، بعد أوسلو أصبحت صفة "عقيد" أو "عميد" أو "معالي" على سبيل المثال هي أساس التراتبية، إذا كان من الصحيح وصف مئات أو آلاف المناضلين السابقين بالنخب، فإن الاتفاقية قد حولتهم من مناضلين وطنيين إلى موظفين وطنيين؛ أي أن قاعدة الولاء وطبيعة الأدوار التي باتوا يقومون بها لا تتلاءم مع التحرر الوطني بقدر ملائمتها للبناء السياسي العقلاني القانوني في ظل كيانية سياسية لا ترقى إلى مستوى سلطة فعلية.¹

أشار نادر داغر إلى أن اتفاقية أوسلو قد حولت النخب من وطنية تستمد شرعيتها من النضال والتضحية إلى نخب اقتصادية وجهوية/عشائرية حتى داخل الفصائل نفسها، بالإضافة إلى تراجع دور المناضلين والقيادات الوطنية لصالح من يمتلك القدرة على السير على بقعة جغرافية أو مجموعة بشرية، وبالتالي غياب المنقذين عن النخب، وأيضاً تراجع دور الشارع في إفراز القيادات الجديدة، وجمود/شيخوخة النظام السياسي وأركانه.²

بينما يرى معز كراجه أن النخبة السياسية والاجتماعية انفصلت عن الشارع وعن الشعب، على سبيل المثال العمل النسوي، بعد أن كانت القيادات النسوية تعمل بالتوازي بين الحقوق الاجتماعية للمرأة والوطنية، وتعمل من خلال اتحادات وأحزاب ونقابات أي عمل جماهيري مع الناس، تم تحويل وحصر العمل في هذا المجال في مؤسسات أهلية، خطاباً

¹ حسن أيوب: مقابلة شخصية. مرجع سابق.

² نادر داغر: مقابلة شخصية. مرجع سابق.

وممارسةً، أولاً فصلت الاجتماعي عن الوطني، وفصلت العمل الأهلي عن الجماهيري الميداني، وهذا يمكننا أن نسحبه على قطاعات ونخب أخرى.

ثانياً: الجزء المهيمن من النخب اليوم، اتخذ خطأً مهادناً لأوسلو وثقافته وسياساته، وتم تدريجياً حصر وإقصاء النخب النقدية بمعنى آخر، النخب المهيمنة اليوم هي من حيث تدري أو لا تدري من أدوات استمرارية الحالة الفلسطينية السائدة.

ثالثاً: هذه النخب اليوم انفصلت عن الشارع طبقياً، وانفصلت عن الفعل الوطني بعد تراجع وانحساره، وباتت نخب بمعنى الكلمة، على عكس النخبة عندما كانت جزءاً أصيلاً من المشروع الوطني التحرري وبالتالي يمكن القول إن حالة النخبة اليوم جزء من استمرارية الوضع السائد بدل أن تكون جزءاً من تغييره.¹

3.6.4 المعارضة الفلسطينية: إشكالية الدور والتأثير

انقسمت المعارضة الفلسطينية الى قسمين رئيسيين، المعارضة الإسلامية (حماس والجهاد الإسلامي) والمعارضة التي ضمت الفصائل الفلسطينية التي كانت جزءاً من منظمة التحرير الفلسطينية، وعلى الرغم من أن الجميع استطاع أن يُشكّل ما سمي " الفصائل العشر " إلا أنه سرعان ما تلاشى وعادت المعارضة إلى مربع الانقسام.

وكان من أبرز الآثار التي تركتها اتفاقية أوسلو فكرة المعارضة نفسها، فمع تشكيل السلطة الفلسطينية، ككيان سياسي فلسطيني، منطقية المعارضة تكمن في أن المعارضة يجب أن تبنى على أساسيين: الصراع الاجتماعي، والتنافس على السياسات الفضلى، إلا أن الحالة الفلسطينية ونتيجة لخصوصيتها ولسبب تشكيل المعارضة نجد أنها رفضت الاتفاق، ورفضت تشكيل السلطة ولم تتخربط بها حتى لا تمنحها الشرعية، ومما ضاعف من الآثار هو الصراع بين السلطة والمعارضة على طبيعة العلاقة مع الاحتلال، ومن هو صاحب السيادة العليا في تحديد العلاقة مع الاحتلال وبالذات فيما يخص عمليات المقاومة.

¹ معز كراجة: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

شكلت هذه الحالة درباً من دروب التيه في العلاقة الوطنية الفلسطينية أنتجت فكرة السجين لدى أبناء شعبه، وبني عليها النظرة من طرف المعارضة للسلطة وطبيعتها ودورها، وهو الذي ما زالت آثاره حاضرة لغاية يومنا هذا، وولد في نفس الوقت ضرب للهوية الوطنية الفلسطينية بغض النظر عن يتحمل المسؤولية الاولى.

ظهرت المعارضة الفلسطينية عندما دخلت منظمة التحرير الفلسطينية مسار التسوية السياسية ووقعت على اتفاق أوسلو، حيث لم تتل الاتفاقية موافقة الكل الفلسطيني ولم يحظ الاتفاق بإجماع كل القوى السياسية ليس فقط حركة الجهاد الإسلامي وحماه بل أيضاً داخل منظمة التحرير نفسها وأيضاً داخل صفوف حركة فتح، الخلل في أداء السلطة الوطنية فيما بعد أدى إلى انطفاء شُعلة المعارضة الفلسطينية، خاصة داخل منظمة التحرير والتي تم إخضاعها منذ اتفاق أوسلو فأصبحت معارضة شكلية لاتملك أية أداة فعلية للتغيير، المعارضة الفلسطينية أصبحت معارضة وطنية ضعيفة وغير موحدة وفي ظل تراجع دورها ونفوذها، لم تستطع أن تكون معارضة منظمة وذات وعي وبرنامج سياسي يسير وفق نهج وطني تكون المصلحة الوطنية الفلسطينية على سلم أولوياته، وبالرغم من كل أطروحاتها وشعاراتها إلا أنها لم تقدم بديلاً وطنياً للمفاوضات ومثاهات التسوية، لحل أزمة المشروع الوطني في ظل التضارب بين مسار التسوية والمقاومة.

فيما يخص دور المعارضة الفلسطينية فيُجمع دكتور خالد الحروب وعزيز المصري وعبد الهادي العجلة ومجد أبو عامر على أن المعارضة الفلسطينية لم تستطع تقديم رؤية بديلة حقيقية تساهم في تماسك الشعب الفلسطيني فهي كانت فاقدة للبدائل وعجزت عن صياغة برنامج بديل لمواجهة اتفاق أوسلو وتداعياته ويرى نادر داغر في ذات السياق أنها وإن قدمت ما يمكن أن يكون بديلاً لكنها لم تستطع أن تجد فرصة وضع البدائل موضع التنفيذ.

بينما يرى صالح مشاركة أن المعارضة كانت جزءاً من أوسلو... فهناك فصائل كثيرة دعمت أوسلو تحت الطاولة وناهضتها فوق الطاولة، جزء بسيط من المعارضة الفلسطينية تجذر في موقفه وهذا الجزء صار شكلاً غير قادر على التطور ومواكبة الواقع، لأن الواقع أقسى

بكثير من أن ينحاز لما هو أظهر أو أعمق أو أفضل، الواقع بيد من يملك أدوات استمرار الفعل السياسي والحياتي.. ولا يحتمل الرفض بدون القدرة على بناء بدائل.¹

ويؤكد دكتور عدنان ملحم أن أوصلو اثبتت زيف مصطلح المعارضة، وكشفت بشكل واضح تحول المعارضة إلى شريك أو مستفيد صامت أو متكاسل أو عجوز هرم، ولذا انخرطت هذه المعارضة في منظومة أو حصاد أوصلو بشكل واضح حيث فشلت المعارضة في إسقاط أوصلو أو إضعافه، ولذا صمتت ودخلت تحت عباءته بشكل موارب. المعارضة لأوصلو ظلت خيالاً وخطابات، ولم تقنع حتى بسطاء الناس بخطورة الاتفاق. ولم تنجح في إنتاج معارضة حقيقية لأوصلو.²

بينما يرى معز كراجة أن معارضة أوصلو فشلت مرتين في مواجهة أوصلو، وبالتالي فشلت في أن تحد من آثاره السلبية عموماً وعلى الهوية الفلسطينية بشكل خاص، الفشل الأول عندما اعتمدت المعارضة السلبية للسلطة وذلك من خلال الوقوف موقف المتفرج، بينما أوصلو يتجسد على أرض الواقع في مؤسسات تشريعية وتنفيذية وفي سياسات اقتصادية واجتماعية، والقصد بالمعارضة السلبية أنها اختارت فقط أن لا تشارك في هذه السلطة ومؤسساتها فقط، بينما لم تعمل على الانخراط في صفوف الفلسطينيين ومحاولة خلق توجهات ثقافية واجتماعية جديدة حيث لم تستغل سياسات السلطة الاقتصادية غير العادلة على سبيل المثال لحشد الفئات الفقيرة حولها كمعارضة، وإنما تركت الشعب لأوصلو وللسلطة، وهذا ينطبق تحديداً على أحزاب اليسار، أما الفشل الثاني فكان بمشاركة تلك المعارضة في انتخابات 2006، حيث جاءت الانتفاضة الثانية بمثابة إعلان موت أوصلو سياسياً، ولكن بمشاركتها بتلك الانتخابات ساهمت في إعطاء أوصلو روحاً جديدة خاصة بعد ان اتضح ان أي مشاركة في مؤسسات السلطة لا يمكن ان تتجاوز سقف أوصلو، وهذا ينطبق تحديداً على حماس، ويبقى هنالك اثر ايجابي وإن كان

¹ صالح مشاركة: مقابلة شخصية. مرجع سابق.

² عدنان ملحم: مقابلة شخصية. مرجع سابق.

محدوداً، يتمثل في استمرار المقاومة بشكل او باخر، لانه لو غاب الفعل النضالي تماماً، لكانت الكارثة على القضية والهوية أكبر.¹

خلقت اتفاقية أوسلو أزمة تحديد للأولويات والمسارات بين مؤيديها ومعارضها مع انتشار لغة التخوين والمزايدات السياسية وتحميل المسؤوليات وتبادل الاتهامات وارتفاع حدة التوتر والعنف، التي وصلت ذروتها بحدوث الانقسام الفلسطيني عام 2007م، والفشل في إدارة هذا الملف إلى يومنا هذا خلافاً وصراعات بين القوى وانتكاسات أضعفت الهوية الوطنية الفلسطينية وعمت على تراجعها نتيجة تحول الصراع من صراع رئيسي مع العدو إلى صراع ثانوي بين فصليين سياسيين على سلطة منقوصة سلطة الضفة وسلطة القطاع تناحر فلسطيني فلسطيني بدل من مواجهة الاحتلال وسياساته، انقسام داخلي ضرب الهوية الوطنية الفلسطينية.

7.4 تأثيرات اتفاق أوسلو على الهوية الوطنية الفلسطينية في سياقها الاجتماعي والاقتصادية

بعد النكبة الفلسطينية عام 1948 اختلف التقسيم الاجتماعي للشعب الفلسطيني حيث تمزق نسيج المجتمع الفلسطيني قسراً بفعل الاحتلال ودخل تعبير (اللاجئين) أي الفلسطينيين في الشتات وتعبير (عرب 48) فلسطيني الأراضي المحتلة إلى القاموس الفلسطيني، أما اتفاق أوسلو فقد أخرج هؤلاء الفلسطينيين طوعاً منه.

أحدث هذا الاتفاق تغييراً في بنية المجتمع الفلسطيني فقد جزأ الشعب الفلسطيني إلى فئات جديدة فأصبح لدينا فلسطيني الضفة وفلسطيني القطاع الذين قسموا فيما بعد بين مواطن وعائد ونازح، وفلسطيني الشتات والتي كانت قضيتهم محوراً أساسياً في تكوين الهوية الوطنية الفلسطينية، والذين أصيبوا جراء الاتفاقية بخيبة أمل نتيجة التنازل عن حق العودة وتجاهله، وفلسطيني الأراضي المحتلة عام 1948، الذين يحملون الهوية الفلسطينية والجنسية الإسرائيلية

¹ معز كراجه: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

الخاضعين لدولة الاحتلال وسياستها القمعية والإقصائية، فأصبح لدينا تجمعات جديدة ضفة وقطاع داخل محتل وشتات.

وهنا يُجمل دكتور خالد جبر الآثار الاجتماعية الواضحة لأوسلو على وحدانية الشعب الفلسطيني ماثلة في:

1- تكوّن ثلاث فئات من الشعب الفلسطيني كلّها بدأت رحلة البحث عن تكوين مستقبل في ظلّ واقع فرضه اتفاق أوسلو والارتهان لمقدراته وقوانينه الدولية المفروضة.

2- انحسار الوضع الجامع الذي كان يفرضه وجود ممثل شرعيّ وحيد للشعب الفلسطيني كلّه، في الدّاخل المحتلّ، والضفة وغازة، والمنافي والشتات، وغياب مؤسّساتها: المجلس الوطني، واللجنة التنفيذية، والمؤسسات الاقتصادية والثقافية الجامعة الأخرى... وهو ما قاد بالتدرّج إلى انبثاق السّلطة الوطنيّة الفلسطينيّة ممثلاً شرعيّاً وحيداً للفلسطينيين الذي نصّ أوسلو على وجودهم "شبه الشرعي" في غازة والضفة.

3- غياب المؤسّسات الجامعة التي كانت ترعى شؤون الفلسطينيين في المخيمّات والشتات، وتنسّق مع الدّول المستضيفة لرعاية شؤونهم، وتحقيق بعض مطالبهم، وهذا قاد إلى حياة بُؤس في المخيمّات وبروز مشكلات اجتماعيّة وشروخ سلوكيّة فيها.

4- تكوّن هويّات بديلة عن الهوية الفلسطينيّة الجامعة، والتمسك بها والدّفاع عنها.¹

وهذا ما يؤكده محمد العيلة في ذات السياق حيث يشير إلى أن اتفاقية أوسلو انعكست على التركيبة الاجتماعية للشعب الفلسطيني، وعززت النمط التفكيكي له وساعد على ذلك برأيه تشتت وجود الفلسطيني في عدة مناطق جغرافية، وعليه نمت أنماط اجتماعية غلبت الأنماط المحلية على النمط العام، وزادت الشروخ الاجتماعية بين الفلسطيني والفلسطيني من إقليم لآخر، وحتى داخل الإقليم الواحد مثل الضفة الغربية والتي تجزّأت وفقاً لأوسلو إلى ثلاث مناطق.²

¹ خالد جبر: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

² محمد العيلة: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

وفي السياق ذاته فإن معين رباني لم يبتعد عن أن ما تمخض عن اتفاقية أوسلو من تفرقة في المجتمع الفلسطيني هو ما أثر في الهوية الوطنية الفلسطينية تأثيراً كبيراً من حيث التجزئة وتفكيك الوحدة، حيث أنها كانت اتفاقية محددة للتطبيق في الأراضي المحتلة، ولذلك فقد فرقت المجتمع الفلسطيني لثلاث مناطق وهي فلسطيني 48، والذين يعيشون في الأراضي المحتلة، والفلسطينيين الذين يعيشون في الشتات، و تم دعم هذه العملية عن طريق إنشاء السلطة الفلسطينية وتوليها الموقع القيادي الذي أخذته على حساب منظمة التحرير الفلسطينية، إضافة إلى ما خلقته من تفريق أحدثه الاحتلال بين الفلسطينيين في الضفة الغربية وشرق القدس وقطاع غزة.¹

من وجهة نظر دكتور حسن أيوب أن الاتفاقية أعادت توزيع النفوذ الاجتماعي وبالتالي القوة والنفوذ السياسيين بما يعكس حقيقة نشوء وتحالف قوى جديدة ونخب اجتماعية-سياسية جديدة، شأن أوسلو في ذلك شأن كل الأحداث والتحولات الكبرى التي تمر بها المجتمعات الإنسانية، على سبيل المثال فإن الانتفاضة الأولى قد دفعت إلى المقدمة بقوى طبقية اجتماعية من أصول فقيرة ومن مجتمعات مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية وقطاع غزة، بينما أتى مشروع السلطة بتراتبية اجتماعية جديدة جمعت بين نخب المستويات العليا في حركة فتح والمنظمة، وبين النخب الاجتماعية-الاقتصادية الفلسطينية الداعمة لمشروع أوسلو والمستفيدة منه.

إن التغييرات التي طرأت على تكوين المجتمع الفلسطيني بحكم الخيارات الاقتصادية للسلطة الفلسطينية والمرتبطة بإكراهات اتفاقيات أوسلو قد غيرت التكوين الطبقي للمجتمع الفلسطيني، وبالتالي طبيعة التفاعلات الاجتماعية وموئل النفوذ السياسي والاجتماعي. فإن أوسلو قد بدلت قاعدة الوحدة الفلسطينية المرتكزة إلى برنامج التحرر الوطني (وهي قاعدة قيمية/أخلاقية وأيديولوجية وطنية/قومية)، بقاعدة سياسية بحتة، إلا أن القاعدة السياسية العقلانية

¹ معين رباني: مقابلة إلكترونية. كاتب وباحث متخصص في الشؤون الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2019/8/27.

بقيت قاصرة عن تشكيل مرتكز للوحدة ناهيك عن طبيعتها التي تعوزها الإرادة الجماعية للفلسطينيين، بالمعنيين معا فإن اتفاقية أوسلو حالت ولا زالت تحول دون تحقيق الوحدة الوطنية.¹

يرى دكتور يوسف عبد الحق أن اتفاق أوسلو أنتج اجتماعياً:

- 1- عودة العشائرية والقبلية.
- 2- ضعف العدالة القانونية.
- 3- ضعف العدالة الاجتماعية.
- 4- الانتماء الجهوي بدلاً من الانتماء الوطني.
- 5- ظهور مرجعية دينية موازية للمرجعية الوطنية.²

فيما اعتبر الحروب أن مسار أوسلو الطويل الذي تجاوز مرحلته الانتقالية المُتفق عليها (خمس سنوات) حول عملية مؤقتة إلى وضع دائم ومربك على المستوى السياسي والنضالي والاجتماعي لدى الشعب الفلسطيني، وجزء من هذا الإرباك تمثل في الإزاحة الجمعية التي تمت من مرحلة المقاومة إلى مرحلة اللا مقاومة تحت مسمى بناء الدولة، فلم يعد مطلوباً من الشعب أن يقاوم خاصة في الضفة الغربية ولا حتى أن يمارس السياسة الفعالة بسبب حصر تلك الممارسة في السلطة والفصائل الفلسطينية، وقد أدى هذا إلى حالة من الاتكالية على السلطة (وحماس في غزة) في ما خص فعلي السياسة والمقاومة، وبالتالي بروز حالة عريضة من اللامبالاة، وفقدان الثقة الجمعية بإمكانية التأثير في الوضع القائم، ونرى ملامح هذه اللامبالاة في عدم الخروج إلى الشارع والاحتجاج المؤثر بشأن القضايا الكبرى، واستحواذ المسائل الحياتية على اهتمامات الناس اليومية والدائمة.³

¹ حسن أيوب: مقابلة شخصية. مرجع سابق.

² يوسف عبد الحق: مقابلة شخصية. مرجع سابق.

³ خالد الحروب: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

ويرى مجد أبو عامر أنّ أوسلو حول المشروع الوطني، من التحرير إلى بناء الدولة/ الاستقلال، وبالتالي غير جغرافيا المشروع، مما أدى إلى تهميش فلسطينيي الداخل والشتات، الأمر الذي أدى إلى تفكك وحدانية الشعب الفلسطيني، سياسياً واجتماعياً وهوية، حيث أصبحت كل جماعة تُعرّف هويتها وفق مصالحها الخاصة، ورغم القول بإيجابيات أوسلو على أنه لمّ شمل العديد من العائلات في الشتات مع أقربائهم في الضفة الغربية وقطاع غزة، إلا أنّ تداعياته، بما في ذلك انتفاضة الأقصى عام 2000، والتي كرّس الاحتلال بنتيجتها الفصل بين الضفة وغزة، وما تلاه من أحداث انقسام فلسطيني (انقلاب/ حسم)، دمر النسيج الاجتماعي الفلسطيني جزئياً.¹

اجتماعياً واقتصادياً يرى دكتور عدنان ملحم أن أوسلو نوبت التعاون المجتمعي والاقتصاد المقاوم وقسمت الناس إلى مجموعات مصلحة تبحث عن امتيازات لها، وتنازلت التجمعات الفلسطينية طواعية عن محاور وحدتها لصالح النخب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الحاكمة أوسلو أنهت شخصية الوطني الثائر أو الملتزم لصالح الموظف أو التاجر السياسي.²

اقتصادياً اعتبر نادر داغر أن أوسلو وما بعدها طورت اقتصاداً لا يستطيع الصمود، هو اقتصاد خدماتي لا زراعي ولا صناعي، واقتصاد تجاري محلي، ومفاتيحه بيد الاحتلال وبيد مجموعة صغيرة من التجار، وهو اقتصاد غير متنوع فهي في النهاية تستورد من نفس المصادر، ومن خلال نفس الميناء، وتبيع نفس السلع، ولنفس الناس، وفي حال إغلاق أي تجمع سكاني فإنه لن يستطيع أن يقوم بذاته اقتصادياً، الاعتماد على الذات هو امتلاك الموارد وأدوات الإنتاج، وليس فتح دكان وملحمة في القرية او المدينة.³

أما معز كراجة فيرى أن السلطة الفلسطينية وهي التجسيد العملي الحي لاتفاق أوسلو، اعتمدت السياسات الاقتصادية النيوليبرالية، وهذا ساهم في تحول اهتمامات الناس وإعادة هندسة

¹ مجد أبو عامر: مقابلة إلكترونية. مرجع سابق.

² عدنان ملحم: مقابلة شخصية. مرجع سابق.

³ نادر داغر: مقابلة شخصية. مرجع سابق.

المجتمع الفلسطيني ككل، وساهمت في تراجع الخطاب الوطني التحرري وحولت القضية الفلسطينية إلى مجموعة من الحقوق القانونية، بل وعملت على إقصاء الفعل النضالي التحرري الذي كان واحداً من عوامل الجمع الفلسطيني الهوياتي.

ويشير كراجة إلى أن هذه التحولات أدت إلى قطع جسور العلاقة بين مكونات الشعب الفلسطيني في مناطق تواجد المركزية المتمثلة في الضفة والقطاع وأراضي 48 والشتات، وقد تشكل هنالك خطاب " وهمي " من قبل السلطة الفلسطينية نجده متجسد في الإعلام والبحث والتعليم وفي خطاب الناس اليومي يتعامل مع " فلسطين " وكأنها الضفة والقطاع، يكفي أن يتابع المواطن نشاطات ودراسات بعض المؤسسات الأهلية التي تقول على سبيل المثال " أثر البطالة على الشباب في فلسطين"، وتكون حدود هذه الدراسة الضفة والقطاع فقط، هذا خطاب وممارسات تؤدي جميعها ضمناً ومع مرور الوقت إلى خلق " وعي زائف " يختزل الشعب الفلسطيني في منطقة جغرافية محدودة، إلى جانب ذلك، أوصلو أعاد إحياء الهويات الفرعية العشائرية والمناطقية، وجعل من الطبقة أيضاً هوية بحد ذاتها نتيجة لطبيعة السياسات الاقتصادية، أوصلو هدم الذات الفلسطينية وفعاليتها من خلال التمويل، أوصلو هدم القاعدة الانتاجية الفلسطينية الصغيرة التي كانت متوفرة سابقاً، وهدم اقتصاد الصمود لصالح اقتصاد الخدمات، وعزز تبعية الاقتصاد الفلسطيني لاقتصاد الاحتلال.¹

اجتماعياً ترى الباحثة أن اتفاق أوصلو خلق واقعاً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً صعب أدخل الهوية الوطنية الفلسطينية في مرحلة تفكك حيث عدا عن اختزال الجغرافيا الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة فقط مما يعزز غياب العنصر الإقليمي الجغرافي المشترك المفقود أصلاً منذ النكبة، لكنه كان متمسكاً بحكايته الجامعة وهويته الوطنية رغم نشنته الجغرافي، حتى جاء أوصلو بعدها ليعزز بروز هويات وطنية فرعية وولاءات جزئية مناطقية، حمائية، وعشائرية، وبالتالي فقدان الثقة في المؤسسة السياسية وإضعاف روح المواطنة في ظل الانشغال في الهموم والتحديات اليومية في الوقت الذي تتميز به الهوية الوطنية الفلسطينية بأنها هوية

¹ معز كراجة: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

نضالية كفاحية مقاومة على الدوام وتجسدت حيويتها في الانتفاضة الأولى والثانية والتي كانت رد فعلي شعبي لرفض وإفشال أوسلو، الذي أتى بتبعاته ليخلق تشرذم وتراجع عن المشروع الوطني التحرري مما أثر سلباً على الهوية الوطنية الجامعة والانتماء الفلسطيني بمفهومه الخاص والعام.

أما على الصعيد الاقتصادي فقد أدى خضوع السلطة الوطنية الفلسطينية التي أوجدتها هذه الاتفاقية سياسياً واقتصادياً إلى مزاجية إسرائيل وفرض سيطرتها على الموارد الطبيعية والمالية والحدود الخارجية والسياسيات الاقتصادية، وربط الاقتصاد الوطني بالاقتصاد الصهيوني، مما أدى إلى ضعف الاقتصاد الفلسطيني وتفككه وبالتالي التبعية الاقتصادية للاحتلال والاحتكام إلى أوامره وقراراته نتيجة التزامها ببروتكول باريس الاقتصادي الذي أدى بدوره إلى تحويل شريحة كبيرة من الشعب الفلسطيني إلى جماعة تعيش على راتب السلطة والمساعدات الخارجية والعمل داخل الأراضي المحتلة عام 1948، وتحول بعض القيادات والنخب الحاكمة من نخب سياسية إلى نخب اقتصادية خلقت نفوذ اقتصادي لها فبدلاً من حماية المشروع الوطني أصبحت تعنى بحماية منافعها الذاتية ومصالحها الخاصة، عدا عن ظهور نخبة المنظمات غير الحكومية (NGOS) في فلسطين والتي تزايد عددها بعد التوقيع حيث أصبح لدينا شريحة جديدة لها امتيازات خاصة تابعة للدعم الخارجي وتحكم له، خلق أوسلو شرائح جديدة من أصحاب رؤوس الأموال وبالتالي نخب جديدة تسعى للحفاظ على الوضع السياسي مما أدى إلى تداخل بين النخب الاقتصادية والسياسية ذات المصالح المشتركة والتي تربحت وانتفعت من صفقات وامتيازات ما بعد أوسلو فحسنت من وضعها الاقتصادي على حساب اتساع الهوة بين طبقات المجتمع الفلسطيني.

وحول إذا ما أتاح أوسلو الفرصة للتجمعات الفلسطينية الاعتماد على ذاتها وإعادة بناء

مكوناتها:

يرى مجد كيال أن الاتفاق أتاح لكل تجمع فلسطينية وحده أن يعتمد على نفسه وهذه

كارثة أوسلو برأيه أنه خلق واقع يتدبر فيه كل تجمع فلسطيني حياته، وبالتالي يتدبر فيه علاقته

بإسرائيل وبالجهة التي تحكمه، وبالتالي يقدم تنازلت أو تضحيات سياسية مختلفة، هذا بالضبط ما فعله أوسلو، أنه مزق الشعب الفلسطيني ولا يوجد أي شيء إيجابي في هذا.¹

أما دكتور خالد الحروب فيشير إلى أن هناك بعض الواجهة في هذا الرأي لكن إلى حدود دنيا، فعند المقارنة بين منعكسات أوسلو السلبية على التجمعات الفلسطينية في اختلاف أماكن وجودها والفرصة التي أتاحتها للاعتماد على الذات نجد أن الانعكاسات السلبية ترجح بكثير، ومن ناحية تاريخية وعملية فإن تلك التجمعات كانت تمتلك دوماً مساحات للإبداع الذاتي والفعل الذي يناسب أماكن وجودها قبل أوسلو.²

يرى دكتور خالد جبر أن أوسلو أمعن في إذلال كثير من أبناء فلسطين الذين وُلِدُوا وعاشوا في المخيمات وهم يحملون أحلام آبائهم وأجدادهم من المفاتيح إلى "قواشين الطابو"، فأصيبوا بخيبة أمل، وانكفاء على الذات أكثر، وأصبحوا ملزمين بالتكثيف مع المجتمعات والأوضاع الجديدة، بحثاً عن "العيش" فقط.³

يؤكد دكتور حسن أيوب أن منطق التجزئة والتفكيك الذي حملته الاتفاقية أحال التجمعات الفلسطينية إلى حيزات يصعب الربط بينها على المستويات القانونية، واللوجستية، والسياسية، ولا حتى المعنوية إن مثل هذا التبرير من شأنه أن يحول كل تجمع فلسطيني: قطاع غزة، جنوب الضفة، وسط الضفة، الأغوار إلى قضية لها سماتها ومحدداتها، هذا ذاته المنطق الذي تتبعه اليوم ومنذ زمن "الإدارة المدنية الإسرائيلية" والعديد من الدول المانحة في التعامل المباشر مع "تجمعات" فلسطينية محددة ومن خارج الأطر الجمعية للفلسطينيين، مثل هذا الواقع أسهم إسهاماً كبيراً في نشوء مصالح واحتياجات مختلفة للتجمعات المختلفة وبالتالي تطور معها ضعف الإحساس الجماعي بوحدة الحال ووحدة الأهداف التي تعطي للهوية الوطنية مناعتها.⁴

¹ مجد كيال: مقابلة إلكترونية. أديب وكاتب صحفي، 2019/8/16.

² خالد الحروب: مقابلة إلكترونية. مرجع سابق.

³ خالد جبر: مقابلة إلكترونية. مرجع سابق.

⁴ حسن أيوب: مقابلة شخصية. مرجع سابق.

فيما اعتبر عزيز المصري أنّ إذا نظرنا الي التجمعات الفلسطينية في الخارج سنرى نفس الانقسام بنفس الادوات والسياق التاريخي، تجربة الداخل المحتل لها ظروف مختلفة تماما عن التجمعات الفلسطينية الأخرى ولم تكن نتاج تداعيات اتفاق أوسلو، بمعنى التكوين السياسي للداخل المحتل موجود من قبل اوسلو بسنوات طويلة من حيث المشاركة في الكنيست الاسرائيلي وممارسة النشاط السياسي من خلاله، في الخارج كانت هناك محاولات مثل مؤتمر فلسطيني الخارج، ومؤتمر فلسطيني أوروبا، وتجمع الفصائل المعارضة في دمشق، إلا أنّها مجتمعة فشلت في توحيد الفلسطينيين في إطار سياسي أو ثقافي لمواجهة اتفاق أوسلو وما نتج عنه، وأصبح أشبه بكرنفال وطني يقام سنويًا دون أي تأثير سياسي علي الأرض، وبالتالي للأسف لم تستطع التجمعات الفلسطينية إعادة بناء مكوناتها بعيدا عن منظمة التحرير أو فتح وحماس أن تحدثنا عن فلسطيني سوريا ولبنان مثلاً، مع التأكيد على خصوصية الداخل المحتل وسياقاته المختلفة من قبل اتفاق أوسلو او بعده.¹

بينما ترى الباحثة أن الفلسطينيين في الشتات يعيشون حالة من الإقصاء والتهميش ضمن تجمعات غير متشابهة خاضعين لقوانين الدول المضيفة، أما فلسطيني الأراضي المحتلة عام 48 فيواجهون سياسات عنصرية، وسواء استطاعت هذه التجمعات الاعتماد على نفسها أو لم تستطع الاعتماد، فهذا يعزز من التقسيمات التي أفرزها أوسلو خاصة في ظل عدم وجود قيادة فلسطينية موحدة وجامعة بين الضفة والقطاع من جهة وبين الداخل المحتل والشتات من جهة أخرى، وبالتالي حطم أوسلو الكيان الجمعي.

8.3 تأثيرات اتفاق أوسلو على الهوية الوطنية الفلسطينية في سياقاتها الثقافية

تعتبر الثقافة جزء لا يتجزأ من هوية الشعب الفلسطيني على مر المراحل التاريخية المختلفة، فالثقافة الشعبية بالرغم من تشتت الشعب الفلسطيني بفعل النكبة وبقاءه بعيداً عن أرضه إلا أن هذه الثقافة بمكوناتها وأدواتها مازالت حاضرة إلى يومنا هذا. وأهم ماميز المشروع الثقافي الوطني الفلسطيني أنه مشروع توعوي وطني وشامل ترافق مع العمل ضد الاستعمار

¹ عزيز المصري: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

البريطاني وضد العدو الصهيوني وهذا ما برز في الثورة الفلسطينية الكبرى حيث خاض الفلسطينيون معركتهم بالقلم والرصاص، تأثرت الثقافة الفلسطينية بالمراحل كافة التي مر بها الشعب الفلسطيني بدءاً بالثورة الفلسطينية الكبرى ومروراً بالنكبة واللجوء الذي خلق واقعاً جديداً ومن ثم تأسيس فتح ومنظمة التحرير كحاضنة للمثقف والمشروع النضالي الوطني والذي خلق بدوره ثقافة وطنية جامعة وشاملة عززت الهوية الوطنية، وما تبعه من نكسة وخروج منظمة التحرير من لبنان وانتقالها لتونس وصولاً لإعلان الاستقلال وانتهاءً بمشروع التسوية وما تبعه من اتفاق أوسلو وإنشاء سلطة وطنية فلسطينية على جزء من أراضي فلسطين، وهو ما أدى إلى وجود ثقافة رسمية تؤثر بشكل ما على الهوية الوطنية الفلسطينية.

يرى دكتور يوسف عبد الحق أن ضعف الهوية السياسية يؤثر وإن كان بشكل ضئيل على الهوية الثقافية نظراً لأنّ الهوية الثقافية هي نتاج تراكمات أدبية وفنية وتراثية وتاريخية ودينية وسياسية عبر الأجيال المتعاقبة ومن هنا جاءت مقولة د. جورج حبش " إذا كنا قد خسرنا المعركة العسكرية والسياسية فلا يجوز مطلقاً أن نخسر المعركة الثقافية، هكذا يتضح الخطر على الهوية الجمعية الثقافية للشعب الفلسطيني.¹

في السياق الثقافي ذاته أشار دكتور خالد جبر أنّ المثقفين والنخب الفكرية والاجتماعية كانت تعدّ نفسها جزءاً لا يتجزأ من المعركة مع "العدو" على مدار عقود حيث كان هؤلاء يكتبون بالرصاص، ويغنون بصليبه، وينشرون كتباً وقصائد وحكايات وأغاني وروايات وقصصاً قصيرة، ويعقدون مؤتمرات وورش عمل، ويقومون دراسات ويجرون بحوثاً واستطلاعات رأي، كلّها تصبّ في جانب مساندة "الكفاح المسلح" وتعلي من شأنه، وتمجّد البطولة والشهادة، وترسم في المخيلة العامة للشعب الفلسطيني، بل في المخيال العربي والعالمي أيضاً، صورةً مثالية للمناضل الفلسطيني الفدائي ذي الكوفية السوداء.

ويكمل جبر متسائلاً هل من الغريب أنّ حضور قصيدة درويش في بيروت كان بحجم الحضور الذي يملأ ملعباً دولياً لكرة القدم؟ لم يكن غريباً أن يحفظ الفلسطينيون "لماذا لم يدقوا

¹ يوسف عبد الحق: مقابلة شخصية. مرجع سابق.

جدران الخزان؟" لغسان كنفاني، و"سأحمل روحي على راحتي" لعبد الرحيم محمود، و"لدفعت من دمك الثمن" لطوقان. كان المثقف الفلسطيني، والصحفي الإعلامي، ورسّام الكاركاتير "حنظلة"، والممثل المسرحي، والمغني "أبو عرب، والعاشقون"، والفرق الفنيّة "الدبكة"، والشاعر، والروائي، والأكاديمي... كان هؤلاء جميعاً يمتلكون طاقات تأثيريّة هائلة؛ لأنهم كانوا مندغمين في روحٍ ثوريّة، وحركة نضاليّة، وكفاحٍ حقيقيّ لاستعمار استيطانيّ إحلاليّ بغيض.

فلما غاب... غابوا، وتلاشى كلّ دور كانوا يؤدّونه، وزالت مكانتهم... يوم أن صارت الكوفيّة زينةً، والبندقيةً فقدت وجهتها، وصار النضال من الفنادق وشاشات التلفزة، وقاعات المفاوضات... فقد المثقف راعيّه الأوّل: المناضل الحقيقيّ.

ومن هنا بدأت هذه النخب بالانحلال من العقليّة الجمعيّة، والهّمّ الجمعيّ، والحسّ الجمعيّ، والتغلّت من كلّ مقتضياتها ومتطلّباتها، إلى الانسراب في مزلق البحث عن "الخلاص الفرديّ"، فكلّ مثقف/ أكاديميّ/ فنّان/ ناشط/ رسّام/ مغنّ/ مسرحيّ/ كاتب/ شاعر... كلّ هؤلاء يبحث عن مشروع الخاصّ، ومنجزه الخاصّ، و"سلّته" الخاصّة.¹

على الصعيد الثقافي ترى الباحثة أن ما يميز الهوية الوطنية هو البعد الكفاحي بخصوص الهوية الثقافية الفلسطينية يمكن أن تقسم زمانياً إلى مرحلتين: مرحلة ما بعد النكبة عام 1948، على اعتبار أن الهوية تبلورت نتيجة صراع مع الهوية النقيضة والثقافة كجزء من الهوية، فقد ساهم حدث النكبة المفصلي في تشكيلها، ثقافة مجتمع وإن تعرض للنفي والإبادة ما زال متمسكاً بأرضه ونضالاته عليها ولأجلها مجتمع لا زال يحتفظ بمفتاح بيته على أمل العودة، ومرحلة ما بعد أوسلو حيث أصبح لدينا ثقافة رسمية والمسؤول عنها في هذه الحالة أجهزة الدولة ومؤسساتها الرسمية وغير رسمية والإعلامية والتعليمية والنخب، ويقع على عاتق الدولة في هذه الحالة إنتاج هوية ثقافية وطنية جامعة تخاطب وتحاكي الفلسطينيين أينما كانوا، بعد أوسلو ظهرت سمات الاغتراب والتشتت على المثقفين، أما على الصعيد الرسمي فقد اقتصرَت الثقافة على الفلكور الشعبي وغابت بندقية الفلاح الثائر وغُيب المبدع الحُر فاخترلت القضية

¹ خالد جبر: مقابلة الكترونية. مرجع سابق.

بالرموز وأصبح الحفاظ على الهوية الثقافية الفلسطينية مقتصرًا على "يوم الثقافة الوطنية الفلسطينية" مناسبة سنوية تحتفل به وزارة الثقافة يوم كل عام.

تري الباحثة أن مكونات الهوية الوطنية تتمثل في:

1- وحدة الشعب

2- وحدة المؤسسة السياسية الجامعة التي تقوم على دولة كاملة السيادة على أرضها.

3- وحدة الجغرافيا المستقرة واضحة الحدود.

في الحالة الفلسطينية فتفرد بعض قيادات منظمة التحرير الفلسطينية في القرار الفلسطيني وتوقيع اتفاق أوسلو ومن ثم فشل المفاوضات بين الطرفين، أدى إلى خلق حالة من التشويش والإرباك وعدم الوضوح في التعامل مع الواقع الجديد فيما بعد نظام السلطة الفلسطينية شطب منظمة التحرير لصالح مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية بالإضافة إلى التحول في بعض النخب وانسحاب نخب أخرى وأيضاً غياب المعارضة، وغياب فعالية المؤسسة السياسية الموحدة وعدم تمثيلها لكل الفلسطيني وبذلك نفقد مكوناً مهماً من مكونات الهوية الوطنية متمثلاً في وحدة المؤسسة السياسية الجامعة.

الهوية كُلاً لا يتجزأ فالهوية الوطنية هي الوطن الواحد بمكوناته الطبيعية والبشرية وهي أيضاً أرض يتمثل في الوطن، وإنسان يتمثل في الشعب، وحكاية تاريخية جامعة، في الحالة الفلسطينية تم فقدان الأرض كعامل أساسي يقوم عليها المجتمع منذ النكبة قسراً وإكراهاً وبالتالي فقدان عنصر الإقليم الجغرافي المشترك لكن خسارة ما تبقى منها بتوقيع أوسلو كان طوعاً وبالتالي نحن أمام فقدان مكون آخر من مكونات الهوية الوطنية هو وحدة الجغرافيا المستقرة واضحة الحدود. أما بخصوص عنصر وحدة الشعب فقد أثر اتفاق أوسلو على وحدة الشعب الفلسطيني داخلياً وخارجياً وأحدث شرخاً داخل الصف الفلسطيني في تجمعاته المختلفة غير المتشابهة كل هذا أدخل الهوية الوطنية الفلسطينية في مرحلة تفكك.

الاستنتاجات

في ظل هذه الدراسة تستنتج الباحثة أن الهوية الوطنية الفلسطينية هوية متجددة تميزت بالتبادل والتفاعل حيث سعى الشعب الفلسطيني عبر مختلف المراحل التاريخية والحقب إلى إثبات هذه الهوية عبر المقاومة والصمود.

تعتبر مرحلة النكبة عام 1948، وما أعقبها من تمزق الشعب الفلسطيني وتدمير نسيجه الاجتماعي حدثاً مفصلياً أثر على حياة الفلسطيني وهويته لكنه ساهم فيما بعد في تبلور الهوية الوطنية الفلسطينية ففضية اللاجئين محور أساسي في تكوين الهوية الوطنية الفلسطيني، وهذا لا ينفي أن الانتماء للوطن موجود وليس حديثاً ولم تخلقه الصهيونية.

أعدت حركة فتح الاعتبار لهوية الشعب الفلسطيني وشخصيته الوطنية وكان إعلانها الكفاح المسلح في يناير 1965، ولادة حقيقية لحركة المقاومة الفلسطينية المعاصرة بعد النكبة، لفتت بذلك أنظار العالم إلى أول حركة تحرر وطني، على صعيد فلسطيني الأراضي المحتلة عام 1948، فكانوا لايزالون تحت سلطة الحاكم العسكري وكانت حركة الأرض عام 1959 أول تعبير عن قوميتهم العربية وتمسكهم بأرضهم ولكن تم حظرها وملاحقة قياداتها فيما بعد.

كانت منظمة التحرير الفلسطينية أول كيان فلسطيني سياسي بعد النكبة وأول رمز معبر عن الهوية الوطنية الفلسطينية حيث كانت المظلة الجامعة للكُل الفلسطيني إلى أن تبني المجلس الوطني برنامج النقاط العشرة عام 1974، والنقلة النوعية من الكفاح إلى التسوية أدى فيما بعد إلى تراجع عن الأفكار المؤسسة للهوية الوطنية وأيضاً تراجع عن دورها ومكانتها التمثيلية.

في ظل هزيمة الجيوش العربية في نكسة 1967 فقد المواطن الثقة بالجيوش العربية وتعمق شعور الهزيمة والألم في نفس المواطن العربي عامة والفلسطيني خاصة مع طرد آلاف الفلسطينيين من أرضهم فانتكست هويته، إلى أن أعادت معركة الكرامة مشاعر الوطنية والفخر.

أدخل إعلان الاستقلال على الهوية الوطنية خطاباً جديداً ضمن مشروع وطني جديد " السلام الفلسطيني " الذي تحول فيما بعد إلى سلطة وطنية فلسطينية عام 1993، أسس الإعلان لمرحلة جديدة في تاريخ الشعب الفلسطيني.

الانتفاضة الأولى عام 1987 تعد أبرز المحطات الكفاحية في تاريخ الشعب الفلسطيني حيث تميزت بالوحدة الوطنية بين أبناء الشعب الفلسطيني ورسخت أساليب نضالية مبدعة في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي وتجلت الهوية الوطنية فيها خلال التكافل والتلاحم الاجتماعي المتمثل في تشكيل القيادة الموحدة لإدارتها.

جاء توقيع اتفاقية أوسلو على اعتبارها عنوان لمرحلة جديدة سيتم فيها بناء نواة الدولة الفلسطينية فقامت السلطة الوطنية الفلسطينية بشروط أوسلو واستمر التفاوض لفترات طويلة دون تحقيق نتائج يعتبر الاتفاق اعترافاً ضمناً بإسرائيل وشرعية وجودها، وما تبعه من التزام السلطة الوطنية بالتسوية، والتنسيق الأمني، ونبذ العنف حيث تم محاصرة مشروع المقاومة ضد المحتل مع استمرار إسرائيل بنهج الاحتلال العسكري والاستيطاني، أما الانتفاضة الثانية عام 2000 فجاءت كرد فعل شعبي على ما أنتجته أوسلو على الأرض ودليل على الإخفاق في تحصيل حقوق الشعب الفلسطيني.

سياً تم تهميش دور المنظمة وبالتالي تم هدم مؤسسة كانت تمثل التعبير الكياني الأول عن الهوية الوطنية الفلسطينية، اجتماعياً وتعزيز التفكك بين فلسطيني الداخل والشتات وشطب اللاجئين وفلسطيني الأراضي المحتلة من الأجندة الفلسطينية، وأيضاً تراجع الهوية الوطنية الجامعة لصالح انتماءات جهوية وعشائرية وعائلية وقرى ومخيمات ومدن وبلديات وبالتالي تعزيز انتماءات بديلة عن الانتماء الوطني، اقتصادياً أسس أوسلو لتبعية اقتصادية كاملة للاحتلال وخلق نخب اقتصادية جديدة تحرص على مصالحها.

وفشل المفاوضات بين الطرفين وعدم استقلالية القرار الوطني وتقلبات النظام السياسي الفلسطيني خلق خلافات وصراعات بين القوى وانتكاسات تجلت في الانقسام الفلسطيني عام

2007 مما خلق تشوهات في الهوية الوطنية الفلسطيني وأدى إلى تراجعها التي تعتبر هوية نضالية في جوهرها الأساسي.

الهوية الوطنية الفلسطينية هي هوية نضالية كفاحية مقاومة على الدوام، إلا أن اتفاق أوسلو أدخل الهوية الوطنية في مرحلة تفكك بعد أن كان الشعب الفلسطيني شعب تجمعته الهوية الوطنية الفلسطينية الواحدة ويلتف حول مشروع وطني موحد رغم توزعه الجغرافي.

تبلورت الهوية وتميزت بفعل نضالات الشعب الفلسطيني بداية من الاستعمار البريطاني إلى يومنا هذا، لكن ما حدث بعد أوسلو خلق تناقض وتشويش وإرباك لهذه الهوية، وإذا استمر هذا الحال لفترة أطول قد يجد الفلسطينيون أنفسهم بلا هوية وطنية واضحة المعالم أو الأهداف بل بداخل هويات متناقضة ومتصارعة.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية

أليكس، ميكشيللي: الهوية، ترجمة د. علي وطفة، الطبعة العربية الأولى، دار الوسيم للخدمات
الطباعية، دمشق: 1993

أنيس إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، الجزء الثاني، إسطنبول، دار الدعوة: 1989.

تيد سودنبرغ: دور الفلاحين الفلسطينيين في الثورة الفلسطينية الكبرى، الإسلام والسياسة
والحركات الاجتماعية. مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000.

جميل هلال: تكوين النخب الفلسطينية منذ نشوء الحركة الوطنية الفلسطينية إلى ما بعد قيام
السلطة الوطنية، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، مركز
الأردن الجديد للدراسات، سلسلة دراسات وأبحاث، 2002.

جميل هلال، النظام السياسي بعد أوسلو، مواطن المؤسسة الفلسطينية لأبحاث الديمقراطية،
فلسطين رام الله، 1998.

دياب مصباح شلح: كتاب التاريخ للصف الثاني عشر درس القومية والهوية. وزارة التربية
والتعليم العالي، فلسطين 2018-2019،

رشيد الخالدي: الهوية الفلسطينية، بناء وعي قومي حديث، جامعة كولومبيا، نيويورك، 1997.

رياض زكي القاسم: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، الهوية العربية والتنوع.
ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، تشرين الثاني نوفمبر 2013.

رياض زكي قاسم: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ط1، سلسلة كتب المستقبل
العربي (68)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2013.

السيد يسين، الشخصية العربية بين صورة مفهوم الذات ومفهوم الآخر، النسق الرئيسي والأنساق الفرعية، ط1، القاهرة مكتبة مدبولي، 1993.

شريف كناعنة: الهوية الوطنية الفلسطينية إلى أين، مركز الدراسات التراث والمجتمع الفلسطيني، جمعية إنعاش الأسرة البيرة.

صمويل هنتجتون: أمريكا: أنا والآخر، من نحن؟ الجدل الكبير في أمريكا، ترجمة عثمان المثلوني، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، بنغازي 2006.

صمويل هنكتون: من نحن التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ط1، ترجمة حسام الدين خضور، دار الحصاد، دمشق، 2005.

عبد الفتاح القلقيلي وأحمد أبو غوش: الهوية الوطنية الفلسطينية: خصوصية التشكل والإطار الناظم، ورقة عمل رقم 13، بديل المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين. نيسان 2012.

علي سعيد إسماعيل: الهوية والتعليم ط1، عالم الكتب للتوزيع والنشر والطباعة، القاهرة، 2005.

غالب بن علي عواجي: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، ج1، المكتبة العصرية الذهبية، السعودية جدة، 2006.

فايز صالح أبو جابر: القومية العربية والدول الكبرى، مكتبة الرائد، عمان، 1999.

فرانسوا (جان)، مرايا الهوية: الأدب المسكون بالفلسفة، ترجمة كميل داغر، المنظمة العربية للترجمة، 1996.

فيصل دراج: قضايا فلسطينية السياسة والثقافة والهوية. المجلس الأعلى للتربية والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية 2008.

فيصل دراج: قضايا فلسطينية، السياسة والثقافة والهوية، المجلس الأعلى للتربية والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية بيروت، 2008.

محسن محمد صالح: حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية، مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات، بيروت، لبنان 2010.

محمد جبرون: انشقاق الهوية جدل الهوية ولغة التعليم في المغرب الأقصى من منظور تاريخي، مجموعة مؤلفين: اللغة والهوية في الوطن العربي إشكاليات تاريخية وثقافية وسياسية، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت كانون الثاني يناير 2013.

محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، ط 3، دار الطليعة، بيروت، 1988.

محمود عباس (أبو مازن): طريق أوسلو، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط1، 1994.

المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية: موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية. البيرة فلسطين، 2008.

المكتب السياسي للجنة الديمقراطية لتحرير فلسطين: الطريق الوعر، نظرة على المفاوضات الفلسطينية "الإسرائيلية" من مدريد إلى أوسلو، ط1، شركة دار التقدم العربي للصحافة والطباعة والنشر، بيروت 1997.

نديم البيطار: حدود الهوية القومية: نقد عام، دار الوحدة، بيروت، 1982.

يزيد صايغ: الحركة الوطنية الفلسطينية 1949-1993: الكفاح المسلح والبحث عن دولة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط2، 2003.

الرسائل الجامعية

أمينة صفاقسي: القومية الأوروبية والقومية العربية دراسة مقارنة. رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر-بسكرة الجزائر، 2016-2017.

حنان حنا قمر: خفايا الخطوة الإسرائيلية إلى أوسلو ما بين الأهداف والاستراتيجية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بير زيت، كلية الدراسات العليا - معهد أبو لغد، 2006-2007 ميلادي.

رولا سرحان، نصوص اتفاقية أوسلو وفشل التطبيق 1993-2000، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بير زيت، كلية الدراسات العليا - معهد أبو لغد للدراسات الدولية، 2005-2006 ميلادي.

عبير داوود المراغي، "تأثير الاحتلال الإسرائيلي على الهوية الوطنية الفلسطينية. رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور مسعود الربضي، صادرة عن جامعة الشرق الأوسط - كلية الدراسات العليا - قسم العلوم السياسية - 2013م.

عبير داوود المراغي، تأثير الاحتلال الإسرائيلي على الهوية الوطنية الفلسطينية (التراث الشعبي أنموذجاً)، رسالة ماجستير، بإشراف الدكتور مسعود الربضي، صادرة عن جامعة الشرق الأوسط - كلية الدراسات العليا - قسم العلوم السياسية - 2013م.

عماد الدين محمد أبو رحمة: أثر عملية التسوية السياسية على الهوية الوطنية الفلسطينية، دراسات لاتجاهات طلبية الجامعات الفلسطينية بقطاع غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة 2011.

ناظم عبد المطلب عمر: الفكر السياسي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وانعكاساته على التنمية السياسية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2008.

المجلات والدوريات

أباهر السقا: الهويات الشبابية الفلسطينية: تراتبات متغيرة من تجمعات مغيرة لكل متجانس، الشباب الفلسطيني: دراسات عن الهوية والمكان والمشاركة المجتمعية، (ورقة مفاهيمية مرجعية) مركز دراسات التنمية، جامعة بيرزيت، 2017.

أباهر السقا: الهوية الاجتماعية الفلسطينية: تمثالاتها المتشظية وتداخلاتها المتعددة، في: التجمعات الفلسطينية وتمثالاتها، المؤتمر السنوي الثاني لمركز مسارات، رام الله: مركز مسارات، 2013.

أباهر السقا، الهوية الاجتماعية الفلسطينية: تمثالاتها المتشظية وتداخلاتها المتعددة، ورقة بحثية، طرحت في مركز مسارات، سلسلة وقائع المؤتمر الثاني السنوي 2013، ص52.

أشرف أبو ندا: الهوية الفلسطينية المتخيلة بين التطور والتأزم، مجلة المستقبل العربي، عدد 423، أيار 2014، ص87.

بلال الحسن: علامات الطريق في التفاوض الفلسطيني - الإسرائيلي: نهج الاعتدال الذي لم يثمر، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 84، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان، بيروت خريف 2010.

ساطع الحصري: كتاب أراء وأحاديث في القومية العربية (محاضرة في القومية العربية القيت في قاعة جمعية الوحدة العربية بالقاهرة في 21-كانون الأول 1950)، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1959.

عبد الرحمن منيف: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، القومية والهوية والثورة العربية، ص 68، في الأصل نشر هذا البحث، في المستقبل العربي، سنة 9، عدد 95 كانون الثاني يناير 1987.

عصام نصار: *التاريخ والقومية: إشكالية كتابة تاريخ للهوية الفلسطينية*، سطور، العدد 6،
صادرة عن المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسة، بيروت، لبنان تموز /يوليو
2017.

علي الدين هلال، *جامعة الدول العربية: الواقع والطموح تعقيب على ورقة د.غسان سلامة في*
بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تونس من 28
نيسان الى 2 مايو 1982، بيروت 1983.

غسان سلامة، *الجامعة والتكتلات العربية ورقة قُدمت إلى جامعة الدول العربية: الواقع*
والطموح.

فلسطين الثورة، العدد 945، 26-9-1993.

قراءات ومراجعات في ضوء الأزمة السورية، مؤتمر الهوية الوطنية، مركز دمشق للأبحاث
والدراسات مداد، أيلول سبتمبر 2017،

كايد عزت شريم: *الهوية الوطنية الفلسطينية: جدل الواقع ومأزق الخطاب مقارنة نقدية*
تحليلية، مجلة جامعة الإستقلال للأبحاث، عدد خاص بأبحاث: مؤتمر الهوية حاضر
ومستقبل، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا جامعة الإستقلال، أريحا، فلسطين.
تشرين أول 2017.

ماجد كيالي، *صعود وأفول الهوية الوطنية والكيانية السياسية للفلسطينيين*، مقال منشور صادر
عن مجلة الدراسات الفلسطينية، ربيع 2012.

محمود معاري: *هوية الفلسطينيين داخل إسرائيل: هل هي فلسطينية -إسرائيلية؟، مجلة*
الدراسات الفلسطينية المجلد 3، العدد 10، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، لبنان بيروت.
ربيع 1992.

وسام رفيدي: *الهوية الوطنية الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو وإشكالية التفكك.* ورقة بحثية،
مركز بديل، 2017م.

المقابلات الشخصية والالكترونية

حسن أيوب، مقابلة شخصية. دكتور سياسية دولية وسياسات مقارنة في جامعة النجاح الوطنية، باحث ومحلل في الشأن الفلسطيني. 2019/9/15.

خالد الحروب: مقابلة الكترونية. كاتب وأكاديمي محاضر في جامعة نورث وسترن في قطر، 2019/8/8.

خالد جبر: مقابلة الكترونية، أكاديمي ومنسق دائرة التحرير في معجم الدوحة التاريخي للغة العربية، 2019/9/13.

صالح مشاركة: مقابلة شخصية، صحفي فلسطيني ومحاضر في مركز الإعلام بيرزيت، 2019/7/24.

عبد الهادي العجلة: مقابلة الكترونية. أكاديمي وباحث، مدير تنفيذي لمعهد دراسات الشرق الأوسط في كندا، 2019/6/16.

عدنان ملح: مقابلة شخصية. أكاديمي ومحاضر في التاريخ جامعة النجاح الوطنية، 2019/9/9.

عزيز المصري: مقابلة الكترونية. باحث في تاريخ القضية الفلسطينية، 2019/7/21.

مجد أبو عامر: مقابلة الكترونية. باحث في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، معهد الدوحة للدراسات العليا، 2019/7/15.

مجد كيال: مقابلة الكترونية. أديب وكاتب صحفي، 2019/8/16.

محمد العيلة: مقابلة الكترونية. باحث في العلوم السياسية، 2019/8/29.

معز كراجة: مقابلة الكترونية. كاتب صحفي وأستاذ الإعلام في جامعة بيرزيت، 2019/8/31.

معين رباني: مقابلة إلكترونية. كاتب وباحث متخصص في الشؤون الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 2019/8/27.

نادر داغر: مقابلة شخصية. باحث ومحاضر في العلاقات العامة، مدير العلاقات العامة مؤسسة عبد المحسن قطان، 2019/7/15.

هاني عواد: مقابلة إلكترونية. باحث في المركز العربي للأبحاث، 2019/7/6.

يوسف عبد الحق: مقابلة شخصية. حقوقي ومحاضر في جامعة النجاح الوطنية، 2019/7/16.

المراجع الإلكترونية

إبراهيم أبراش: تنظيم فتح وحركة فتح، مقال إلكتروني، موقع سما الإخبارية، 2013-10-28،
<https://bit.ly/32IkqlB>

إبراهيم المسارعي: الهوية الوطنية الاجتماعية لحركة فتح، مقال إلكتروني، موقع حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح إقليم جمهورية مصر العربية- مكتب الإعلام، 2018-9-23،
<https://bit.ly/2CzYbn8>

أحمد رأفت غضية: مستقبل النظام السياسي الفلسطيني وعملية المفاوضات في ضوء جمود المفاوضات واحتمالات المصالحة، ورقة بحثية، <https://bit.ly/2KaZTzF>.

أسامة يوسف: الهوية الوطنية الفلسطينية تراكمات التاريخ والاستعمار، مقال إلكتروني، موقع العربي الجديد، 2017-5-21، <https://bit.ly/2qKNKKQ>.

أسامة يوسف: الهوية الوطنية الفلسطينية تراكمات التاريخ والاستعمار، موقع العربي الجديد، 2017-7-21، <https://bit.ly/2qKhqrw>.

أسامة يوسف: الهوية الوطنية تراكمات التاريخ والاستعمار، موقع العربي الجديد الإلكتروني، ملحق فلسطين، 2017-5-21، نسخة إلكترونية، <https://bit.ly/33LNb20>

الانتفاضة الفلسطينية الثانية، موقع العربي الجديد، <https://bit.ly/2phe6nq>.

جميل هلال: انتفاضة الأقصى، الأهداف المباشرة ومقومات الاستمرار، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 11، العدد 44 خريف 200، <https://bit.ly/2Ojth8f>.

حبيب صالح المهدي: دراسة في مفهوم الهوية، هيئة التعليم التقني 2009 <https://bit.ly/2O7iKg3>.

حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح: موقع منظمة التحرير الفلسطينية الرسمي، <https://bit.ly/33LO4Yo>.

حليمة أبو هنية، مراحل تشكل وعي الهوية عند الفلسطينيين، مركز الأبحاث الفلسطينية prc، ورقة بحثية، نسخة إلكترونية، <https://bit.ly/2NJkYU6>.

حليمة أبو هنية، مراحل تشكل وعي الهوية عند الفلسطينيين، مركز الأبحاث الفلسطيني، ورقة بحثية منشورة، عن مقابلة خاصة أجرتها للبحث مع صالح عبد الجواد، بيرزيت 7-5-2008 <https://bit.ly/2X8J9hC>.

سلافة حجاوي: الهوية الفلسطينية داخل الدولة اليهودية، دراسة في الأدب، <https://bit.ly/2CEcxmy>.

طارق دعنا، الانتفاضة الثانية وأعداؤها، موقع متراس، <https://bit.ly/2Oa8gfS>.
عبد الفتاح القلقلي: الهوية جذور ومسار، أوراق فلسطينية 8، مؤسسة ياسر عرفات، 20-11-2016، نسخة إلكترونية منشورة، <https://bit.ly/2XdiNen>. ص49.

عبد الفتاح القلقلي: الهوية جذور ومسارات. للمزيد انظر: <https://bit.ly/33LM968>
غسان كنفاني، ثورة 36-39 في فلسطين خلفيات وتفاصيل وتحليل، نسخة إلكترونية، <https://bit.ly/2QdF4HJ>.

الفلم الوثائقي، ثمن أوسلو، الجزيرة نت، <https://bit.ly/2NETSNU>

ماجد كيالي: صعود وأفول الهوية الوطنية والكيانية السياسية للفلسطينيين، مجلة الدراسات الفلسطينية، ربيع 2012. نسخة إلكترونية منشورة، <https://bit.ly/2rEi1LT>.

ماهر الشريف: خمسون عاماً على قيام منظمة التحرير الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، <https://bit.ly/32HIzII>، 2014-4-23.

ماهر الشريف: خمسون عاماً على قيام منظمة التحرير الوطنية الفلسطينية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ورقة بحثية منشورة، <https://bit.ly/2pVxFID>.

محمود عمر: ثورة 1936 عندما حاربنا الإمبراطورية العظمى، موقع فلسطين، تشرين الأول 2014، <https://bit.ly/2Ke3ay2>.

محمود معياري: أثر الانتفاضة في الهوية الجماعية في الضفة الغربية وقطاع غزة، مجلة الدراسات الفلسطينية/المجلدة، 15، العدد 48، <https://bit.ly/2KqDqij>

مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفا: قرارات المجلس الوطني الفلسطيني، الدورة التاسعة عشر الجزائر 12 إلى 15 تشرين الثاني 1988، <https://bit.ly/33JpU0B>.

مروان حبش: مقارنة في مفهوم الهوية الوطنية. مقال إلكتروني <https://bit.ly/371RpEA> - 17 أغسطس 2017

معز كراجة: الهوية الفلسطينية: من التبلور إلى خطر التنشيط، مقال إلكتروني، شبكة نوى الإخبارية، <https://bit.ly/2KeLX7R>، 5 مايو 2016..

مدوح طه، الهوية الوطنية والشخصية العربية، موقع البيان الإلكتروني، 18-10-2013 متوفر على الموقع الإلكتروني: <https://bit.ly/2NEAoc1>

الموسوعة الفلسطينية، 16-9-2013، <https://bit.ly/32Ija1L>.

موقع موسوعة الجزيرة الإلكتروني: نص إعلان ياسر عرفات قيام دولة فلسطين ،
[.https://bit.ly/2CEdong](https://bit.ly/2CEdong)

هاني عواد، كيف خطط عرفات للانتفاضة الثانية، موقع متراس، [.https://bit.ly/2KeOjUf](https://bit.ly/2KeOjUf)
وسام رفيدي: الهوية الوطنية الفلسطينية بعد اتفاقية أوسلو وإشكالية التفكك، ورقة بحثية منشورة،
موقع بديل المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، جريدة حق العودة
العدد 45، [.https://bit.ly/2XamYYv](https://bit.ly/2XamYYv)

وليد القططي: تطور الهوية الوطنية الفلسطينية بين المقاومة والمساومة، مقال إلكتروني موقع
فلسطين اليوم، 28-9-2017، [.https://bit.ly/2KejZZC](https://bit.ly/2KejZZC)

**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

Changes of Palestinian national Identity since the "Oslo" Accords

**By
Hadil Marouf Mohammad Zahran**

**Supervised by
Dr. Raed N'erat**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the
Requirements for the Degree of Master of Political Planning and
Development in the Faculty of Graduate Studies, An-Najah
National University, Nablus, Palestine.**

2019

Changes of Palestinian national Identity since the "Oslo" Accords

By

Hadil Marouf Mohammad Zahran

Supervised by

Dr. Raed N'erat

Abstarct

This study aims at clarifying the aspects of the Palestinian national identity since its initiation, highlighting the impact of Oslo Accord in 1993 on this identity until 2018 through the transformations of this accord.

The problem of this study is about the main question of the study which is: “How did Oslo Accord affect the Palestinian national identity and how was the resistance the overall umbrella under which the Palestinian identity is organized.

It is obvious that negotiations have a different role in this field especially after Oslo since the Palestinian national identity is weakened by geographical disparity of the Palestinians. Furthermore, the Palestinian National Authority (hereinafter referred to as ‘PNA’) has established its base on diverse and distant pieces of land of Palestine affecting its elements directly.

The main hypothesis of this study is that Oslo Accord has led to changing the elements of the Palestinian national identity especially in restricting the Palestinian political courses in negotiations. Apart from this agreement on the national project which is considered the overall umbrella of the Palestinians.

In order to check the validity of the hypothesis, the researcher has employed the analytical and descriptive method in order to understand the relationship among the variations and the historical method. The researcher depends on scientific interviews with the elite of the academic and political researchers as a tool to get to the scientific visions of this study.

The conclusions of this study can be summarized in the regression of the national identity in favor of the clan, family, regional and power affiliations as a replacement for the national affiliation. In the economic filed, Oslo has established economic dependency on the Israel occupation creating a new economic elite only caring for its interests.

The failure of the negotiations between the two parties has led to the status of disagreement in the national decision and turbulences in the Palestinian political system. Also, it created differences among the Palestinian sanctions apparent in the Palestinian division in 2007 creating mutations in the Palestinian national identity and the regression of its struggle identity in its essence.

Finally, Oslo has made the Palestinians experience a stage of fragmentation distributed according to regional and power affiliations after being under the umbrella of the unified national project all around Palestine and the world. Also, it has transformed the Palestinian national identity from a struggle and resistance identity all the way long to a fragmented identity according to the regional and power distribution